مصطفى محمود

٥٥ مشكلة حب

دار المعارف

مصطفى محمود

٥٥ مشكلة حب

الطبعة السابعة

دار المعارف

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

مقدمة

بعض الأمراض يشفيها الكلام ... مثل أمراض النفس وعذابات الوجدان وجراح القلوب .

وليس الكلام هنا النصائح والعظات والعبر والآراء السديدة .

ولكنه كلام الإنسان لنفسه ... إفضاؤه ... ونجواه ... واعترافه بما يؤرقه .

الإفضاء ... مجرد الإفضاء ... والإفشاء ... والاعتراف ولو للورق .

فض مكنون القلب والتعبير عن مشاعره الحبيسة المخنوقة المذبوحة فى طيات الضلوع .. يشفى ويريح ...

الدمعة المسكوبة لا تضيع ... وإنما هى تفتح نافذة للعاطفة تتنفس منها .

والضحكة المريرة تفك ضائقة الروح .

والآهة تخرج من القلب .

ومع هذه الدموع والضحكات والآهات تعيش صفحات هذا الكتاب .

إنها رسائل مختارة من مئات الاعترافات التى وصلت إلىّ من قراء عديدين ... تعذبوا ... وسهروا ... وتأملوا ... وسخروا من الدنيا ومن أنفسهم .

وبعضها طرائف تثير الاستغراب .

وبعضها بلايا تثير الضحك .

وبعضها آلام تبحث على البكاء.

ولكن كلها صادقة... واقعية... فيها الأرض... بأوشابها وترابها وجواهرها الدفينة...

مصطفى محمود

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١

مثقفة

كان حلمي دائمًا أن أتزوج من مثقفة جامعية.. تفهمني وأفهمها، وتشاركني كفاحي، وتقف إلى جواري في معركة الحياة..

وقد تحقق هذا الحلم.. للأسف..

ووجدت إلى جواري امرأة من نوع غريب.. امرأة قضت أربع سنوات في كلية الآداب لتتعلم فنًا واحدًا.. وهو فن الانتصار على الرجل.

إنها تتكلم في لباقة.. وتلبس شيك.. وتلعب الجولف.. وتعزف على البيانو.. وتقرأ الكتب.. ولا يعجبها شيء في الدنيا..

إذا سألتها أين تذهب ومتى تعود مطت شفتيها وعاتبتني لأني لا أثق بها.. إذا امتحنتها تقى عاتبتني لأني لا أغار عليها كما يجب، فإذا اشتعلت حبًا وغيرة.. قالت لي: لنكن أصدقاء.. إن خير الزواج ما قام على الصداقة.. فإذا أعطيتها الصداقة أشعرتني بأهمية الجنس... فإذا وجهت همي إلى الجنس.. قالت لي: أوه.. أنت همجي.

كنا في الصعيد، وظلت تشكو حتى انتقلنا إلى القاهرة.. وهي الآن تشكو.. لأنها تريد السفر إلى أمريكا..

إنها تعسة دائمًا.. طموح لدرجة المرض.. تطلب كل شيء لمجرد أنها تحمل « دبلوم » قسم إنجليزي من كلية الآداب، وتعمل نصف يوم كما يعمل الرجل.. ومع هذا فهي أول كل شهر تتحول فجأة إلى بنت بيت وتنتظر الإنفاق عليها..

بيتنا فوضى .. به طباخ وخادمة .. بالإضافة إلى أمي التي تعمل كخادمة ودادة للأطفال .. وأمي الآن عجوز بلغت السن التي يجب فيها أن تستريح .. ومع هذا أجد أحياناً مناظر آتألم لها من قلبي .. أجد أمي وعلى حجرها طفلان .. والمدام ممددة على الفراش بعد عودتها من الشغل ، وفي يدها جريدة فرنسية .

لقد بدأت أعتقد أن زوجتي شقية معذبة .

إنها لا تعرف ماذا تفعل بنفسها أو بثقافتها أو .. بي . وهي أيضاً لا تعرف معنى الثقافة . ولكن ماذنبي أنا ؟ وماالحل ؟.

• • •

إن ذنبك هو ذنب ملايين الرجال والنساء .. وذنب الجيل النصف الذي يتغير بسرعة ويتلق الهزة العنيفة التي تتلقاها عربات الترام حينا تندفع القاطرة فجأة بدون تدرج إلى الأمام ..

المرأة المصرية أمام وهج الثقافة والحرية الفجائية .. أصبحت مهزوزة موزعة الرغبة لا تعرف ماذا تريد .. ولهذا تندفع في عدة طرق في وقت واحد .. إنها تريد السفر والتجول حول العالم .. وتريد الحب .. وتريد الجنس .. وتريد المغامرة .. بمجرد المغامرة .. وتكفر بالقديم لمجرد أنه قديم . وتهلل للجديد لمجرد أنه جديد .. وتطلب ألف شيء ولا تقدم في مقابله شيئاً واحداً .

إن إحساسها بحقوقها أكثر من إحساسها بواجباتها . إحساسها بحريتها أكثر من إحساسها بمسئوليتها . لأنها تمر بتجربة جديدة ..

إنها تخرج لأول مرة من القفص .. فلا تفكر في شيء إلا في التصفيق

بجناحيها والطيران في الجهات الأربع ..

والحل هو الصدام .. ليس هناك مفر من الصدام بينكما .. عامل زوجتك المثقفة على أنها غير مثقفة .. وعلمها بالشدة والحزم إن معنى الثقافة هو المسئولية ..

٢

أحبه جداً

حينما أبدأ أروى قصة حياتى .. لا أجد تلك الذكريات السعيدة التى تعود أن يرويها الناس عن طفولتهم ..

وكل ما أذكره خيالات حزينة ..

أبى الذى يضيع أمواله فى الخمر والقمار . وأمى التى تكدح لتوفر لنا الطعام ..

وحياتى فى المدرسة الداخلية ..

والحماقات .. والسقطات الصغيرة .. وروايات الحب .. والكتب اللعينة الخليعة ..

وكل ما يمكن أن يحدث لفتاة جميلة جداً .. وفقيرة جداً . ولكن شكراً لذكائى فى النهاية .. لقد استطعت أن أحصل على زوج عجوز ظريف واسع الثراء ..

لا تلمنى ..

كان لابد أن أفعل شيئاً لأجد لأسرتى مركزها .. ولأعيش وأولد من جديد .. وأرى الدنيا .. وأحب .. نعم أحب ..

إن عزائى الوحيد فى الحضن العجوز الذى كان يضمنى كل ليلة أنى كنت أحب .. وأن الكهول لا يعيشون طويلا .. وأن حريتى سوف تعود إلىّ مرة أخرى .. وأتزوج من جديد الرجل الذى أحبه .. ولم تخيب الأيام رجائى .. فقد

مات زوجى .. ولكن حريتى التى كنت أتلهف عليها كانت حملا ثقيلا على أعصابى .. وما لبثت أن تحولت إلى محنة .. فقد ظهرت عقبة كئود حالت بينى وبين الاستسلام إلى الحضن الحبيب الذى طالما انتظرته وحلمت به ..

لا تسخر منى .

إنه عجوز آخر ظريف واسع الثراء .. عرض علىّ الزواج .

لا تقل إنى مادية .. فأنا أحب حبيبى وأبكى من أجله ولا أنام .. ولكنى أعود فأذكر حياتى الأولى الحزينة .. التى قتلها الفقر وأتعذب وأبكى .. وأتردد بين حبى والعجوز الجديد الذى يغازلنى بثروته ..

ماذا أفعل ؟..

دلنى على طريق السعادة ..

* * *

إنك تبكين من أجل أشياء لا تشعرين بها على الإطلاق .. أنت لا تحبين حبيبك ..

إن مجرد ظهور منافس كهل واسع الثراء يجعلك ترتجفين من الحيرة .. والهلع .. الهلع على الثروة الجديدة التى قد تضيع باستسلامك لحبك .

إنك تشبهين التاجر الذى يريد أن يجمع إلى سمعة التاجر الناجح .. سمعة الإنسان الرقيق الإحساس .. وهو يشق الناس من أجل أن تنجح تجارته .. ويبكى من أجل أن يصدقوا أنه طيب القلب ..

إن زواجك من الشاب لن يسعدك ..

إن مطلبك الوحيد من الدنيا هو مزيد من الغنى .. ومزيد من العجائز .

إن قلب الإنسان يتعصك .. حتى لو بكيت إلى آخر العمر ..

إن الحب عندك مجرد حماقات وسقطات صغيرة يجب ألا يستسلم لها العقلاء أمثالك ويضحون في سبيلها بأرواحهم ..

سوف تتزوجين شاباً !! ولكن ليس الآن .. وإنما عندما تبلغين السبعين !! ويصبح هذا اللون من الزواج هو أروج تجاراتك !!

٣
رد مقنع

هي مدرسة .. وأنا مدرس ..

تبادلنا حبًا عميقًا جارفًا .. وتعاهدنا على الزواج .. وبدأنا نحلم بعشنا السعيد .. ونفكر في ميزانية عامنا الأول ..

هي تتقاضى ٤٥ جنيها .. وأنا ٤٥ .. أي أن إيرادنا تسعون جنيها في الشهر .. ندبر بها بيتًا أنيقًا .. وننفق منها على طفل ..

وبدأنا نكتب أحلامنا .. أرقامًا على الورق ..

نفقات الأكل .. والشرب .. والثياب .. والمواصلات .. والخادم .. والبواب .. والسينما .. والمصيف ..

وتبخرت الجنيهات التسعون .. ومازلنا نكتب .. ونكتب ..

وكان من الواضح أن أحلامنا أكثر من إيرادنا .. وأننا أفقر من أن نبنى العش الأنيق الذى رسمناه في أذهاننا ..

وبدأنا نفكر ..

قلت لها :

– سوف أسافر إلى السعودية .. وأقضى عامًا في جدة .. أعود بعده وقد وفرت مبلغًا كبيرًا .. فنتزوج ونبدأ حياتنا ..

ووافقت بعد تردد .. وهي تضغط على يدى في امتنان وتبادلنا قبلة طويلة .

وذهبت إلى السعودية .. وبدأت أحترق وحدى .. لا من نار جدة .. ولكن

من نار فراقها .. وبدأت أرسل لها خطابات طويلة سوأقول لها إنى أكتشف أن الحياة ليست ميزانية ولا أرقاماً .. وأن الفرق بين التسعين والألف ليس هو الشيء الذى يسعد ، وإنما الشيء الذى يسعد هو قلبان متحابان يعطف كل منهما على الآخر .. وأننا نستطيع أن نعيش سعداء بجنيهاتنا التسعين.

وكانت ترسل لى قائلة : إنها اكتشفت هذه الحقيقة هى الأخرى ، وأنها غيرت رأيها ..

وكانت خطاباتنا تفيض حناناً ورقة ..

وحينما عدت .. كنت أريد أن أراها .. وقد تغيرت إلى امرأة جديدة .. تنظر إلى الحب كما أنظر إليه .. على أنه مرتب إضافى وكسب أغلى من الذهب ..

وقد وجدت أنها قد اقتنعت .. اقتنعت جداً ، وأخذت بهذا الرأى الوجيه .. فتزوجت من زميل المدرس الذى يتقاضى ٣٥ جنيهاً فقط ..

لقد نجحت كمدرس .. وفشلت كحبيب .. ابك من أجلى !..

* * *

— هنالك فئة من الناس تتقن فن الشرح .. ولكنها لا تتقن فن الشعور .. وهؤلاء خلقوا مدرسين بالفطرة .. وأنت من هؤلاء ..

لقد استطعت أن تعطل كل إحساساتها .. وتمسك لها بالورقة والقلم وتشطب على إيرادها وإيرادك .. وعلى العش الأنيق الذى تبنياه .. فى أحلامكما .. وقلت .. نحن فى حاجة إلى مزيد من الجنيهات .. وكنت مقنعاً لدرجة أنها أطلقتك من يدها وهى تحلك لتغيب فى حر السعودية .. تجمع لها رحيق الذهب من الحقول ...

وحينما قضيت سنة تحت شمس جدة ، وأفقت على حقيقة جديدة ..

كنت غاية فى الإقناع فى تقديم هذه الحقيقة وشرحها .

وبلغ من نجاحك أنها عملت بوصيتك بحذافيرها قبل أن تغلق الخطاب ! فتزوجت من زميلك الفقير الذى لا يتقاضى سوى ٣٥ جنيهاً ..

لقد كنت فناناً فى تحريك عقلها .. ولكنك لم تحرك قلبها قط ..

إنها لم تحبك بالقدر الكافى فى يوم من الأيام .. لقد كانت تحترمك فقط .. وتستمع إليك كالتلميذة النجيبة ..

إن الحب لا يحركه مهندس يمسك بالمسطرة والبرجل ويرصد الأرقام فى ورقة ..

ولكن يحركه شاعر رقيق مجنون ، يلعب على القلب ..

النساء — حتى المدرسات منهن — يعشقن الشعراء والمجانين !

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٤

نافذة على الجنة

أكتب إليك من فراشي .. وأنا راقدة مشلولة ..

خمس سنوات تمر أمامي الآن منذ اليوم الذي رقدت فيه وأنا أهذي بالحمى ، وقال الطبيب إني مصابة بشلل الأطفال .. إلى اليوم . وأنا أكتب لك في منتصف الليل .. وكل عصب من أعصابي يرتجف .

إنك تستطيع أن تتخيل نفسية فتاة في الخامسة عشرة .. مشلولة مدقوقة في فراشها بمسمار .. لا تملك من النشاط إلا مربعًا مساحته متر في متر .. تحرك فيه ذراعيها ..

إن بعض أنواع الألم لا يمكن أن توصف في كلمات .. بعض أنواع الألم خرساء ، وحياتي كانت كلها خرساء ..

كان الشيء الوحيد المطلق السراح في حياتي هو خيالي .. كنت ألوذ بالخيال .. لأحب وأكره وأتزوج وأنجب أطفالا .. وأبني قصورًا في الهواء وأسافر إلى أقصى الأرض .. ثم أفتح عيني في النهاية على حياتي الصغيرة المشلولة .. وأبكي في صمت ..

هذا العالم الوهمي هو كل ما أملك من سعادة .. حتى ذلك المساء البعيد منذ ثلاثة أشهر ..

ودعني أصف لك هذا المساء الذي غير حياتي كلها .

لم يكن في المنزل أحد سواي أنا والدادة .. وكنت أقرأ كتابًا .. وأسرح بضع

ساعات بين صفحة وأخرى .. حينما دق جرس التليفون .. وأحضرت الدادة التليفون إلى جواري .. ورفعت السماعة وضعتها على أذني .. وسمعت رجلا يسأل عن عبد الحميد بك .. فقلت له : إن النمرة خطأ .. فاعتذر وتردد .. ثم قال أليست النمرة كذا وكذا .. فقلت له : لا .. إن هناك فرقًا في أحد الأرقام ، فضحك قائلا : هكذا الحياة .. فرق رقم واحد فيها يغير من مصير إنسان .. وبدأنا نتبادل حديث المصادفة واسترسلنا في الحديث . وختم كلامه قائلا : إنني رقيقة . وإنه يسره أن يتمكن من محادثتي بين حين وآخر ..

ووضعت السماعة .. وظللت أنظر إليها برهة وكأني أنظر إلى نافذة واسعة فتحت أمامي على مشرق شمس ..

ومنذ ذلك اليوم بدأت بيننا علاقة من نوع غريب .. علاقة تشبه الأحلام التي أحلمها .. فيها شبح لا أعرفه .. يحادثني ويقول لي : أحبك ..

ولكن الشبح كان له هذه المرة وجود في أرض الواقع .. لأنه مالبث أن قال لي : هل تصفين نفسك ؟

ووصفت له وجهي بدقة .. وسمعته يقول : ما أجملك !

ووصفت له ذراعي ويدي الرقيقتين .. وسمعته يهلل إعجابًا ويقول في عاطفة : لو كان ساقاك في جمال ذراعيك فإنك تكونين فاتنة كالدمية ..

وهنا أحسست بالسماعة ترتجف في يدي .. ونظرت إلى ساقي الممددتين كعمودين من خشب ، وظللت صامتة برهة قبل أن ألقي بالسماعة في مكانها ..

وفي تلك الليلة ظللت متيقظة حتى الصباح ..

هل أحبه ؟

نعم . بل إنه أكثر من حب .. إنه حياة .

لقد زاد وزنى فى هذه الأشهر الثلاثة خمسة كيلوجرامات .. وتورد خداى .. وقال الطبيب حينما كشف على ساقى إن بعض الألياف العصبية بدأت تعمل وإنه مندهش كيف بدأ التحسن بعد هذا الوقت الطويل ..

إنه حياتى إذن ..

وهى حياة يتهددها الضياع .. فهو يريد أن يرانى ..

ولو رآنى فسوف أخسره وأخسر نفسى إلى الأبد .

إنى معذبة تعيسة ..

كيف أهرب منه ومن نفسى ؟

ماذا أفعل ؟

* * *

إنى أشعر بعذابك .. وحيرتك .. وأحس بأنى أمام دراما إغريقية من درامات المصير .. لا مجرد مداعبة تليفونية .. دراما أكبر من عقلى .. أما رأيى فهو أن تستمر هذه العلاقة فى شكلها التليفونى .. ويؤجل اللقاء بينكما حتى يتم شفاؤك .

وفى إمكانك أن تكونى شهرزاد التى تحكى لشهريار كل ليلة قصة .. وتشغله ليلة بعد ليلة حتى تكسب قلبه بعد ألف ليلة وليلة .

٥

أكل مسلوق

أنا شاب فى الثلاثين .. محافظ بحكم تربيتى .. ولكن عملى يحتم علىّ الاحتكاك بالراقصات والممثلات والفنانات من كل لون .

عشت أتنقل بين الكباريهات والاستديوهات والمسارح كمهندس ديكور .. لا تلتقى عيناى إلا بنوع واحد من النساء .. الأرتيست ..

وكنت دائمًا أتجنب هذا النوع وأخشاه ..

كنت أعاشره وأنا فى عزلة عنه .. وأنظر إليه تمامًا كما ينظر إليه متفرج الشاشة فى فضول . أنجذب إليه وأرهبه ..

إن الراقصة خلف الكواليس .. والممثلة خلف البلاتوه .. والمطربة فى البروفة .. والفنانة بين يدى الماكير وهى تتحرك بدون تكلف .. وتتحدث فى جرأة وصراحة .. وأحيانًا فى وقاحة .. وترسل نظراتها فى إهمال إلى من حولها .. وتغازل .. وتداعب وترفع صوتها بالغناء فجأة .. وتبكى بدون سبب .. وتضحك فى هستيريا .. وتشتم زميلها أو تقرصه فى خده .. أو تلف ذراعها حول عنقه . تحرك المشاعر أكثر مما تفعل على الشاشة . لأنها تمثل طبيعتها .

الفن خلف الستار يكون عريانًا .. والحياة تكون عريانة والأعصاب تكون عريانة ..

وجوه البطلات آخر الليل وقد اختلطت فيها المساحيق بالعرق .. عيونهن وقد امتزج فيها التعب والقلق واليأس بالرغبة ، وانطفأ فيها بريق المجد والغرور

تبدو إنسانية .. ضعيفة . غارقة فى التعاسة ..

والكلمات القليلة التى يتبادلها فى دقائق الراحة .. تغوص فى القلب ولا تنسى .

هذا الجو المغناطيسى ظل يدير رأسى سنة بعد سنة حتى فقدت عقلى فى لحظة ووجدت نفسى أحب .

وأحب من ؟

واحدة من هذه الجو الذى عشت طول عمرى أخافه وأتجنبه

وكان حبًا مذهلًا .. ضعت فيه بضعة أشهر .. أو بضع سنوات .

لا أدرى . ثم أفقت فجأة لأجد صاحبتى تفعل أى شىء مع أى شخص وفى أى وقت . امرأة متحللة تمامًا متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ . ومن كل قانون . تفعل ما يعجبها مع من يعجبها حينما يعجبها .. بصرف النظر عن أى اعتبار .. وتنسى أى شىء تفعله حتى

وحاولت أن أنساها .

ومرت سنوات .. تعذبت فيها عذابًا فاق احتمالى ..

والآن تحاول أمى أن تبنى لى حياتى من جديد .. فتخطب لى بنتًا من عائلة طيبة لتكون زوجة صالحة .. ولكن أشعر أنى تغيرت كثيرًا .. فأنا بعد أن تذوقت هذا النوع الملتهب من النساء أصبحت أحس بأن بنات البيوت باردات لا حياة فيهن ولا طعم . خاليات من الملح مثل الأكل المسلوق . صحى ولكنه لا يحرك الشهوة .

أنا حائر .. لم يعد يعجبنى أحد ..

ماذا أفعل ؟.. أنصحنى . فأنا لا أستطيع أن أتزوج المرأة التى أحببتها لأنها بلا أخلاق ولا أستطيع أن أحب المرأة التى سوف أتزوجها لأنى لا أحس بها حالا !.

* * *

أنا لا أستطيع أن أتصور الجمال بدون سجايا ، لا أستطيع أن أتصور رؤيتك للجمال فى امرأة متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ ومن كل قانون امرأة التى تفعل ما يعجبها مع من يعجبها

إن الجمال ليس كلمة .. وليس شكلا وليس حركة رشيقة .

إن الجمال فى تعبير هذه الأشياء كلها عن شعور حقيقى صادق ..

إن الجمال فى توظيف الإنسانية لمواهبها توظيفًا جميلا .

أنا لا يمكن أن أحس بالجمال فى امرأة تكذب مهما كانت باهرة وذكية ..

إنّ إحساسى بالكذب يجرحنى ويجعل الجمال يبدو أمامى مثل الطلاء

إن بنت البيت البكر ليست مثل الأكل المسلوق أبدًا .. إن بكارتها وبساطتها وعاطفتها الطليقة المباشرة جمال حقيقى ..

إن ذوقك مريض ..

أنت فى حاجة إلى سنة أخرى لتنسى وتغسل نفسك وعقلك من آثار الماضى !

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٦

حصان البلدية

كانت القاهرة تصحو بالعيد .. والشوارع تشبه فستاناً مركباً من ألف قطعة .. والأطفال يرقصون كالأعلام بضفائرهم الملونة .. ولدينا في رفة .. وأنا وحدى .

لم تكن لى عائلة أجتمع بها على مائدة الفطور لنتبادل التهانى .. ولم يكن لى أطفال أودعهم قبلة على الباب .. فقد مات الأب والأم .. وحملت وحدى أربعين عاماً فى طريق الحياة .

لم أفكر فى الزواج .. كان غرور الشباب يملؤنى .. فأردت أن أظل حلماً لكل بيت .. وأعيش حياتى فى موهبية متصلة .

ومرت السنون خفيفة كالريح ..

كنت أبدل عشيقاتى .. كما أبدل أثوابى .. وكما أبدل زجاجات النبيذ الفارغة فى البار الأمريكانى الذى أحتفظ به فى شقتى .

ثم أفقت ذات ليلة .. لأكتشف أن الشيب يزحف على رأسى .. ولأشاهد حلقات زرقاء تحت عينى .. وعضوناً رقيقة حول فمى ..

وقال الطبيب إن ضغط دمى مرتفع .. وكتب لى قائمة طعام لا أتجاوزها .

وحرم على شرب الخمر .. والسهر .

وبدأت أستيقظ فى الصباح لأعد البيسون والشاى .. وتلعب حولى لأحد أن الساهر قد انقضى !

لم أعد الفارس المقدام الذى يتسابق إليه الراغبون .. وإنما أصبحت الحصان العجوز الذى باعه أصحابه إلى البلدية

لقد انتهيت ..

ألقى النساء بوراقى فى البالوعة بعد أن أكلوا فاكهتى العصية !

انتهى الشاطر حسن .

ولم يكن شاطراً بالمرة .. كان هو أيضاً إحدى الزجاجات التى فرغت فى البار واستبدل بها بارمان الحب زجاجة جديدة

واليوم .. حينما سمعت أن البلد فى عيد .. خرجت أتمشى فى الطرقات .. ولم أملك نفسى من البكاء .

كان الناس كأسراب الحمام .. فى جماعات .. وشلل .. وأسر .. وكنت وحدى .. لا أب .. ولا ولد .. ولا روجة ..

كنت كالفرع الجاف الذى يوشك أن يسقط

وشربت فى شراهة .. ودخنت فى شراهة .. وأنا جالس على مائدة وحيدة .. فى بار صغير .

كنت كطفل شرانى من أبطال قصص الرومانس .. ينتحر فى هدوء .

وحينما حملونى إلى البيت آخر الليل .. كنت أحس أنى إمبراطور مخلوع فى المنفى .

وبدأت أفكر والخمر مازالت فى رأسى ..

يجب أن أتزوج .. نعم يجب أن أتزوج .. وكانت الخمر تعطينى القوة

وكانت الحسنة الوحيدة التى تبقت لى هى آخر عشيقاتى شكلا وموضوعاً ..

ولكننا لا نحتار حينما نصل إلى الهروم .. أليس كذلك ؟

وليس أمام شمشون بعد أن حلقوا له رأسه إلا أن يختار أى دليلة يلقاها فى الطريق .

لطالما كنت أرفض الزيجات التى كانت تعرضها علىّ أمى . والآن ، الكل يرفضنى ..

ليس أمامى إلا هذه النواة اليتيمة التى لفظها الناس تحت موائدهم . فأنا أيضًا نواة أخرى .. فى البالوعة ..

وربما كان زواجنا هو طوق النجاة الأخير . ألا ترى هذا ؟ أم أنى صارت مخمورًا ؟!

• • •

لا ، لست مخمورا ..

بل أنت فى صحوة .. صحوة التجربة المرة .. والحكمة التى أضعت عمرك ثمنًا لها .

إنى أفهمك جيدًا ياسيدى .. ولا أجد ما أضيفه .

أنت كالأفاق الذى ظل طوال عمره يرتحل من بلد إلى بلد على قدميه ، وحينما أدركه الإعياء وبدأ يلهث . تلفت حوله فلم يجد إلا دكة قديمة تخلخلت أرجلها

نعم أيها الحصان العجوز . ليس أمامك بعد سباقات هليوبوليس . إلا عربة الرش ..

تزوج .. وادفع الثمن إلى النهاية .. كمقامر شريف !

٧

برافو

أنا فتاة فى العشرين ، على درجة قليلة من التعليم أهلتنى لأن أعمل خادمة عند باشا سابق . ولعلك لمست هذه من رداءة خطى وأسلوبى ، ولكنى أعتمد عليك فى إعادة كتابة هذه الرسالة المفككة . بحيث يستطيع أن يفهمها القراء ستة ستة . ولأختصر لك فى القصة . كنت ألحظ انشغال سيدتى الصغيرة وعكوفها على التليفون بالساعات تتحدث ولكن كل ليلة بعد أن ينام البيت كله .

واستطعت أن أعرف الحبيب المجهول . وأن أعرف رقم تليفونه . كان رجلا متزوجًا من أولاد الذوات الذين يترددون على النوادى . ويتحدثون بلغة فرنسية مكسرة ..

وكنت أشعر بغيظ ، لا أدرى سببه بالضبط ، من هذه العلاقة ..

كنت أرى سيدتى تذوب وجدًا . وقد تنتشى . أو تغضب إذا قطعت عليها حديثها التليفونى . ثم أسمعها تقول فى التليفون معتذرة .. دى الست الخدامة المفصوصة الرقبة ، خلاص كرشتها ..

كنت أخرج أجرر قدمى فى ذل . وقد تملكنى إحساس بأنى لست آدمية

وفى إحدى الليالى وكنت وحدى . انتابتنى فكرة شريرة ، وأمسكت بالتليفون وأدرت الرقم . فرد علىّ صوت رقيق هو صوت صاحبنا . طمأنته فى نبرة أرستقراطية بأنى فتاة لا يعرفها تشاهده كل يوم فى النادى وتذوب فيه حبًا

فأحببى وقد أصبح صوته ترحاً معسولا : أهلا أهلا يانوره .. أنا عارفك انى الوردة الحلوة حتى تقف عند الباب وتطلب شبابيا كل ليلة

قلت له لا .. إه ده .. أنا وحشه كده .. دانت ماتعرفنيش خالص .

وازداد صوته لزوجة وهو يقول كأنه يترنم : يبقى لازم أشوفك ..

وتكررت المحادثات .. ورفضت أن ألقاه فى كل مرة .. وقلت له إن بابا شديد جداً .. وإنه مرة ضرب فلاحاً بالرصاص فى العزبة لأنه بص لى وأنا ماشية

وتحولت مكالماته إلى توسلات وضراعة .. هو يبكى ليلقانى .. وأنا أحكى له عن بابا اللى بيضرب فلاحين العزبة بالكرابيج .

وبعد عذاب شهرين .. وعدته على لقاء فى جروبى . وقلت له إنى سأدخل فى الساعة السادسة بالضبط وسأكون لابسه فستاناً رمادياً .

وفى الساعة السادسة والنصف كنت أدخل بفستان أحمر لأراه ملطوعاً على كرسى وبصره زائغ مثل الكلب !

وشعرت بسرور خبيث وأنا أتأمله فى أناقته وهمته وخيبته .

وحادثته بعد هذا وأنا أبكى ، واعتذرت له لأن بابا جاء من الصعيد فجأة وأخذنى إلى العزبة ولم أستطع الحضور فى الميعاد .

وعذبته شهرين آخرين ، ثم أعطيته ميعاداً ثانياً فى « لاباس » واستعرضته وهو ملطوع كالتمثيل العبيط

ومازالت المهزلة مستمرة إلى الآن .. وأعترف لك أنى أصبحت ألتذ كثيراً من رؤية سيدتى وهى تتحدث إليه فى التليفون وتبكى .. وألتذ بها وهى تتشحتف وتكرشى .. وأخرج وأنا أتفصح وأعى .

والله أكثر وأنا أجر سيدى لأهدى من بيته وألطعه فى الشارع وأنا أتمشكح أمامه .. ولا أنا هنا .

مارأيك ؟ ألا يستحق كلاهما جلمبياسامهة ؟ أم أنى ست سيته ؟!

* * *

هذا نوع دلوع مودرن من صراع الطبقات .. ومعاملة جديدة مبتكرة تفكر فيها بنت من الطبقة العاملة لتتعامل بها الطبقة الصايعة

أعتقد أنها يستحقان ..

براو .. وحذار أن تقرأ ستك الكتاب . وإلا فسوف تصبحين فى الشارع تانى يوم ..

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٨
في حضن الموت

سيدي

اليوم هو اليوم العاشر من شهر عسلي .. وهو أيضاً بداية العام السبعين من عمري

لقد تزوجت دجاجة صغيرة في سن ابنتي ومنحتها ثروتي ومركزي اللامع كمأمور ضبط قديم .. وكنت حسبتها عوناً لأيامي - أيام الخريف الأولى .. من الملح

إذ أشرق الصبح ينقضت عروسي كالعصفورة لتدلك مفاصلي ، وتحضر القرفة وتضع قدمي في حوض من ماء ساخن .. ثم تمسح عيني وتضع في بعضهن من قطرة ... وتفتح أذني وتضع نقطتين من الأدرين . ثم تضع البكوري الذهب في فمي . وتدهن ظهري بالمرهم . وتلف وسطي بالصوف .. وتسقيني ملعقة من ملح الفواكه وملعقة من الصودا الفوارة وبعضاً فاتحة للشهوة .. وتربت على خدي وتسوي الشعرة الوحيدة الباقية في رأسي . وتقول لي .. تيقظ .. يا بيبه لقد نمت طول الليل .. فأستيقظ وأمسح على رأسي . وأتناول يدها أقبلها وأنا .. يا حبيبتي . إن هذه أول ليلة أنامها بدون منوم .. وهذا بفضلك يا غزالي !

نعم .. لقد أصبحت أنام .. بدون أقراص .. وبدون حقن .. أصبحت أنام في الليل وفي النهار وعلى الفطور والغداء والعشاء .. وفي البلكون والترام

والشارع . وزاد وزني إلى الضعف

إن الزواج نعمة .. يجب أن يتزوج كل الناس . ويجب أن يتزوج أبي الأعمى أيضاً . فالعروسة لقمة

كان هذا رأيي منذ أيام .. ولكن كل شيء الآن قد تغير . منذ زيارة أمي وأقاربي .

لم تكن أمي كالعجائز تحمل إلى ابنها العريس زجاجات العطر والشربات وعلب السكر . وإنما حملت لي صفاً من زجاجات الكبد والربيع والحديد والمر .. وكمية من مسحوق العرقسوس وحبوب القرطم . وأهدى إليّ عمي حقنة شرجية وحرساً لعنق .. وعطارة حبكة تقرأ بما حرمتك .. وأهدى إليّ خالي مصحفاً وحجاباً وعكازاً ومشة

أي غرابة في هذا !؟

أتظن أن هذا سبب يكفي لأن تتشاجر عروسي .. وأن تصرخ . وتنتف شعرها .. ثم تغادر البيت ولا تعود ؟

أتظن أن هذا سبب يكفي لأن تهرب مع شاب صعلوك في سن أولادي ؟

هل هذه هي المصيبة !؟

* * *

سيدي صاحب المصيبة .

لقد ظلت عروسك تنام طوال الأيام العشرة من شهر العسل .. في القرافة إلى جوار جثتك .. تنقعها كل يوم في الماء والملح .. ولكن هذا لم يبعث فيك الحياة .. وإنما زاد نومك الأبدي عمقاً .. فكان من الطبيعي أن تلقي نفسها في

البحر، أو في كارية، أو في أحضان شيطان ..

تستطيع أن تتجرع الزرنيخ والحديد. وتشد حزام الفتق على رقبتك وتعمل أي شيء يحلو لك ولكن الغلطة غلطتك ياصاحبي فقد نسيت أن الحياة لاتنام في أحضان الموت أبداً

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٩ ..

كتكوتة ماما ..

أنا فتاة من عائلة كبيرة .. غنية

تعودت من صغري أن أعيش حرة .. وأفعل ما يحلو لي

كنت آخر العنقود ودلوعة العيلة . وحينما كانت أمي تقسو عليّ بكلمة . كنت أبكي وأمعن في البكاء ولا أكف عن العويل حتى تجيء مسرعة وتطبطب عليّ وتقبل يدي ومعلهش ياروح ماما ياقلب ماما . ياعيني ماما .. ياكتكوتة ماما

ولقد كنت كتكوتة فعلا . الكل يطعمني . ويدللني ويشكي وأنا أغني وأرقص . وأملأ البيت بالزيطة والصراخ وأنفق ما في يدي من نقود لأحصل على غيرها .. وأحطم ما أشاء من اللعب لأحصل على غيرها ..

وكنت أحياناً أبكي لمجرد البكاء .. من الملل .

وأنا الآن سيدة في العشرين تزوجت من سنتين ولكني تعيسة في زواجي .. زوجي يحبني .. بصدق .. ويعطيني ما أريده وأكثر .. ولكني تعيسة .. أنفق مرتب الشهر في عشرة أيام ثم أبكي لأحصل على مزيد من النقود .. وأتجول بين فاترينات عماد الدين ، قبيل لعابي على الفساتين والموديلات .. فإذا حصلت على واحد منها فقدت اهتمامي به ، وبدأت أجري وراء فستان آخر .

أشعر أحياناً بالملل من كل شيء ، حتى زوجي ، فأغدو عصبية لا أطيق

كلمة أو لمسة ..

زوجي يقول لي دائماً . إني أحمله .. ولكني مسكينة .. إني أنا التي أستحق العطف .

إني أعلم أنك سوف تشتمني .. ولكن أرجوك .. حاول أن تفهمني لا تكن مثل زوجي ..

إن أهلي يقولون إني زوجة سيئة .. كلهم يضعون الذنب على رأسي . لا أحد يفهمني .. حتى هو .. زوجي .. يثور عليّ هو الآخر ..

كنت أتوقع منه هو على الأقل وهو الذي يعاشرني ويعرف رقة أعصابي وتلفها .. أن يعطف عليّ ويفهمني .. ولكنه لا يريد أن يفهم ..

إني أتعذب .. حتى العطف لا أجده .

لقد تعودت أن تجاب لي كل مطالبي . وأن أعيش حرة .. بلا مسئوليات .

قد يكون هذا شيئاً رديئاً .. ولكني نشأت على هذه الرداءة ، وأصبحت لا أطيق أن أحرم شيئاً ..

أعصابي تثور إذا حيل بيني وبين أي شيء حتى ولو كان هذا الشيء تافهة ..

لا تقل لي امرأة سيئة .. حاول أن تفهمني أرجوك ..

* * *

أنت تطالبين بحق جديد لم ينزل بعد في أي دستور من الدساتير . تطالبين بحق ارتكاب الخطأ

تريدين أن يكون إهمالك لزوجك وإحساسك بالملل نحوه حقوقاً تزاولينها كما

كنت تزاولين تحطيم اللعب في طفولتك وعلى زوجك أن يقابل هذا الإهمال بالعطف عليك

أعتقد أن هذا سوف يحدث فعلاً ..

سوف يحدث لسوء حظك ..

إن زوجك يثور الآن لأنه يحبك ولن يدوم هذا طويلاً .

إنه سيظل يثور حتى يتعب من ثورته وحبه ..

والحب كالتنفس والنبض يصيبه اللهاث والتعب إذا أرهق بالمطالب . ثم يتراخى .. ويتحول إلى يأس .. ثم إلى عطف ..

وحينما يبدأ زوجك ينظر إليك كحالة مرضية ميئوس منها ويبدأ يعاملك بعطف يكون قد كف عن حبك فعلاً وبدأ يبحث عن حب عند امرأة أخرى .

وسيكون هذا هو العقاب الذي ينزل بك . والصدمة التي تعيقك من الترف والدلال والدلع الذي تعيشين فيه ..

إن أحسن علاج لامرأة تقول : أنا مسكينة .. أنا رديئة .. هي أن تكون أردأ منها !.

١٠

الحياة بدون كبت

أنا كما يراني الناس من الخارج فتاة عادية في التاسعة عشرة .. مرحة منطلقة .. الكثيرون يحسدونني على انطلاقي .. فأنا أبدًا دائمًا ضاحكة عابثة ولكن قلبي من الداخل يبكي .. ولا أحد يعلم ما أعانيه

أحببت منذ ثلاث سنوات .. وكان حبًا أكبر من عمري .. وكان هو في الثلاثين أكبر مني بأربعة عشر عامًا وعلمني كل شيء . كنت كتابًا مقفولا وموضوعًا على الرف وجاء هو وفتحه وقرأ كل سطر فيه . وكل كلمة فيه .. وكنت سعيدة . السنة الماضية مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة في الوجود فأنا جميلة خفيفة الظل محبوبة من الجميع ، ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على جميع طلباتي .. وأهم من هذا كله كان هو بجانبي .. حبيبي .

كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام الله ، عرفت معه كل متع الحب وكل مسراته وقد حرصنا معًا على ألا يتجاوز حبنا الحدود فظللت عذراء . ولكنه في آخر لحظة تركني وهجرني إلى غير رجعة قال إنه لا يستطيع أن يعصي أمر والدته .. وقد اختارت له والدته ابنة أخته ابنة وخطبتها له . وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا فهو وحيدها .

وتعبت .. ومرضت .. ثلاثة أشهر ..

ثم بدأت أضمد جراحي وأقاوم عذابي وأرسم الضحكة على شفتي وأغتصب الابتسامة .. وبدأت أعود إلى الحياة ..

وعرفت أحد زملائي في الكلية وصاحبته .

ولم يكن حبًا هذه المرة .. فأنا أعلم أني لا أحبه . وأنه لا يحبني .

ولكني كنت أبحث عن سلوى ..

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضي الساعات .. لا نرى الفيلم ولا نرى ما حولنا .. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق حتى يضيء النور .

وفي الشباب .. وفي نشوة السن المراهقة التي نمر بها — نحن الاثنين — يشعر كلانا بأننا نقضي ساعات لذيذة

ولكن بعد ذلك .. وبعد أن تمضي هذه الساعات .. يبدأ عذاب الضمير .. وأراني أصرخ في نفسي إني ساقطة مجرمة بدون أخلاق . منسية مصيرها جهنم

ولكن أعود فأسأل نفسي وماذنبي إذا كانت هذه غرائزنا التي ركبت فينا .. ورغباتنا التي خلقت معنا

إني لو لم أفعل هذه الأشياء سوف أظل مشغولة الذهن طول الوقت أفكر فيها وأتمنى أن أعملها .. وهذا أمر ..

ماذنبي إذا كانت هذه طبيعتنا

وأبكي وأصلي وأصوم . ثم أعود في نفس هذه الأشياء وأنا أسأل نفسي في حيرة ماالفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير المتزوجين . إنها ورقة مجرد ورقة..

كيف تكون رخصة القبلة مجرد ورقة ..؟ ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين في المصافحة عملاً عاديًا لا غبار عليه وتلامس الشفاه في القبلة عملا فاضحًا شائنًا .. أليست كلها أجزاء جسم واحد ..؟!

وما معنى العفة هنا ..؟

وكيف يكون تحريم أشياء هي في صميم طبعنا .. فضيلة ..؟

لماذا لا نعيش على الطبيعة بدون تعقيد .. وبدون كبت .. وبدون تحريم ؟

* * *

صديقتي لماذا لا نعيش كالحيوانات منطلقين مع غرائزنا بلا ضابط .. وبلا نظام . وبلا هدف سوى هدف اللحظة .. ولذة الساعة !! مستحيل طبعاً . فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا تماماً .. ونعود إلى عصر الغابة .

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة .. من اللحظة التي يضبط فيها الإنسان رغبته ويكبح جماحه ويلجم شهواته ويتصرف بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية والبذل في سبيل الآخرين ، والعمل على إقامة نظام .. والانقطاع للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس .. أما إذا انقلب الوضع وأصبحت لذات الجسد العابرة .. ونزوات الغريزة مفضلة على هذه الأغراض السامية ، فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب حيواناً .. والنظام الاجتماعي كله ينهار من أساسه .

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين .. الزواج تنظيم اجتماعي للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه .. وحتى لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط .. وتختلط الأحساب والأنساب .. ولا يعرف ابن أباه .

ولو فهمنا أن الإنسان حين يضبط رغبته ويكبح شهوته .. فإنه لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته .. فإنه في الحقيقة يحرس صوت الغريزة . ولكنه في الوقت نفسه يطلق صوت العقل .. وهو يشد اللجام على الحيوان الجامح في نفسه ، ولكنه يطلق العنان للوجدان والعاطفة والفكر

ولا يمكن أن يقال في أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية .. فإن العقل أيضاً من طبيعتنا .. والعاطفة والوجدان والروح .. هي صميمنا . وهي أكثر أصالة في طبيعتنا من نزوة الحس وصرخة الحيوان الجائع .

أما حكاية تلامس الشفتين في القبلة وتلامس اليدين في المصافحة فهي مغالطة واضحة .. ولن أحاول أن أناقشها .. فأنت تعرفين جيداً الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة .. ومفيش داعي نكدب على بعض .

أما حكايتك مع صاحبك .. فهي حكاية يجب أن تنتهي .. فأنت باعترافك لا تحبينه وهو لا يحبك .. فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة وهي علاقة تخلو من عنصر الصدق .. علاقة يغش كل منكما فيها جسمه .. ويغش نفسه . وهي لهذا يجب أن تتوقف .. لا بسبب الدين .. ولا خوفاً من جهنم فقط ولكن أيضاً بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١١

عريان أفندى

أنا شاب فى العشرين .. مازلت إلى الآن طالباً بالثانوية العامة .. مظهرى محترم ومؤدب جداً .. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى إنى خجول وطيب ومهذب . وهذه فى الحقيقة هى المجاملات الظاهرة التى أبدو بها أمام الناس ولكن فى خلوة حينما أنفرد بنفسى فى غرفتى ، أتحول إلى شخص آخر تماماً ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه .. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران . وأتجرد من ثيابى ..

وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان . وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة .

يحدث أحياناً أن تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال وأحياناً تبتسم ..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة وهى طبعاً علاقات قذرة مع خادمات ونساء ساقطات

والمشكلة أن هذه العادة السيئة تحكم فى سلوكى وتستعبدنى تماماً وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد لا أستطيع لها دفعاً ومهما لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التمادى فيها

والغريب أنى فى وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديد وكأنى شخص آخر .

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى أماكن عامة . وكنت أدعوهن إلى نزهة على النيل أو إلى سينما .

ولكنى كنت دائماً أخسرهن فى النهاية . بسبب مسلكى الشاذ فى السيارات . فى اللحظة التى ينطفئ فيها النور ويسود الظلام كان يركبنى ذلك الشيطان .. فأتصرف بدناءة . وقذارة وتكون النهاية

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة .. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب على أمرى وأنا أشعر بتعاسة لا حد لها

أنا مريض .. أنا أعلم أنى مريض

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام . وحائب خيبة لا حد لها ، وفى أعماقى أحتقر نفسى .. وأشعر أنى ملوث .. ولكن ماذا أفعل

هل هناك حل لرجل مثلى .

* * *

حالتك يسميها فرويد « عقدة الاستعراض » ..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعرى ونحيط على جسمنا العارى ونزهو به ولكن هذه الرغبة تتطور إلى الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ . فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا الأسلوب الطفلى وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية التى توجهنا إلى الحب والزواج .

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث أثناء الطفولة .. فتنشأ عقدة الاستعراض . وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى التعرى فى سنوات البلوغ وبعده .

والعلاج في هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفساني وإلى استكشاف صوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق الأحلام والتذكر. وهذا يحتاج إلى طبيب نفساني محترف.

١٢

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة في كلية الطب متوسطة الجمال. ظريفة محبوبة. منذ السنة الأولى وأنا أزامل زميلاً وأحبه ويحبني

كنا نمضي طول الوقت بالكلية معاً ونذهب معاً إلى النادي والملاعب ونقضي آخر الأسبوع في السينما أو في الحدائق ونتحدث في غدنا ومستقبلنا، ونرسم الخطط للسنوات القادمة.

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج

قال لي إنه لا يريد أن يأخذ مليماً من أبيه وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عالة على غيره

وهكذا كان انتظارنا طبيعياً.

ولكن حدثت المفاجأة.

في الإجازة الصيفية من العام الأول.. ونحن نعلق الآمال. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ، والاشتراك في رحلة الكلية إلى سوريا.. تغير فجأة.

فجأة. وبدون سبب واضح اختفى تماماً بعد إعلان نتيجة الامتحان وفشلت كل محاولاتي للعثور عليه

وعلمت أنه رسب في الامتحان.. وأني نجحت.. ولكني لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتي.

إن الامتحانات حظوظ .. وليس في رسوبه ما نخجله وما يعيبني .
وما ذنب حبنا
إن حبنا أبقى وأعظم من أي نجاح أو فشل في امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما يحدث

وتعذبت شهورًا .. وأنا أفكر .. وأتساءل .. ثم كتبت له خطابًا طويلا ألومه .. وأعتب عليه . وأذرف الدموع من أجل حبنا . وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إليّ

وعاد إليّ .. وتقابلنا .. ولكنه كان ساهمًا شاردًا متجهمًا .

لم يكن طلقًا بشوشًا مرحًا كعادته . وحاولت المستحيل لكي أعيد إليه مرحه . وحاولت أن أفهم سر عذابه . ولكنه لم يبح بشيء . وكان يقول دائمًا حينما أشير إلى أمر رسوبه : إن هذا أمر تافه .. وإنه ليس بالرجل الذي يفقد روحه من أول خذلان .

ما هو إذن السر في وجومه .. ؟ لا أعرف .. !

وتكرر رسوبه .. وتكرر اختفاؤه .. وتكرر نجاحي في الوقت نفسه
وتكررت محاولاتي للمحافظة عليه واسترجاعه .

والآن أنا في امتحان التخرج الأخير .. وهو ما زال في السنة الأولى يتعثر في كتب التشريح ..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة . وأكون في الظروف التي تسمح لي بمعاونته ماليًا .. والإنفاق عليه .. والزواج به برغم كل شيء .

وأنا أحبه .

ومسألة رسوبه لا تهمني .

أريده بأي ثمن .. وهو يتهرب مني وينكمش في نفسه أكثر وأكثر ويقابل عاطفتي الملتهبة بالبرود
وأنا أبكي حزنًا عليه .. وحزنًا على نفسي
ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه .. وأتزوجه .. ؟
ماذا أفعل ؟ ساعدني

* * *

ساعديه أنت واتركيه في حاله .. ولا تحطميه أكثر مما حطمتيه .
إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبدًا ..

إن الرجل ورث تقليدًا ثابتًا من آبائه وأجداده .. إنه قوام على المرأة ووصي عليها .. ومشرف على بيتها وحياتها .. ومتفوق عليها بحكم كونه رجلا

قد تكون هذه التقاليد الموروثة موضعًا للجدل .. ولكنها في دمنا .. مهما تكلمنا عن المساواة ..

إن عمرها خمسة آلاف سنة

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال .. وحتى هذه اللحظة تجدين في جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحنًا كلهم من الرجال مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات .. ولا إلى رجولة .. إنه مجرد تفوق في شيء

ونحن ورثنا التفوق في الواقع وفي التاريخ وفي الماضي القريب والماضي البعيد .

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات .

ونحن نحاول أن نعطي المرأة الفرصة ، ولكن التاريخ أقوى منا . لأنه بعد قديم طويل ضارب بجذوره فينا .

ماذا نفعل .. إننا مساكين .. نحن ضحايا هذا الميراث . ولابد أن نتفوق ونشعر أننا طبيعيون .. وأننا رجال .. نثق في أنفسنا

إن رسوب زميلك . ونجاحك باستمرار .. شيء فظيع لا يمكن أن تتصوري أثره لأنك لست رجلا

وواجهك به على أساس الإعجاب بعينه .. سوف يزيد مشكلته تعقيداً ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر .

لا يوجد حل .. إن الواقع قد تراكم ضدك

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعي دائماً أنها غير متفوقة قليلة الحيلة وعاجزة . وفي حاجة إلى نصيحة زوجها لتكسبه .. وتكسب حبه ..

إن أنصحك حال رجعت أنه محكوم عليه بأن يكون قوياً برغم أنفه

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١٣

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة في ثلاثة أشخاص .. أنا وهو وهي .. صديقان هي ثالثتنا . تعارفنا .. وكنا نتزاور منذ الصغر .. ونلعب معاً .. ونخرج معاً ..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا .. وكانت هي تحكي لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية .. وكيف تقهرها وتسيء وتكسر الشقة وحدها وتبكي بالليل دون أن يشعر بها أحد ..

وكانت جميلة وطيبة

وكبرنا .. وكبرت معنا .. وكبرت معنا آلامنا .. وكنا نتكلم في كل شيء إلا الشيء الوحيد الذي يؤرقنا .. حبنا ..

كنت أحبها ولم يكن يشغلني غير شعور واحد هو حبي لها .. ولكني لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب .. كنت أخجل منه ومن صديق ، وكنت أسمي هذا الحب صداقة لأخدع نفسي ..

ولكني لم أستطع أن أستمر في الكتمان .. وراودتني نفسي أن أرسل لها خطاباً أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد ، وكتبت الخطاب ودسسته في يدها .. ومرت أيام وأنا لا أقابلها ، وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب .. ونكبت سعت إلى بعضها وجاءتني وهي تبتسم وفي يدها رد على خطابي ..

وكان رداً حاراً اعترفت فيه أنها تبادلني الحب .. وليلتها بت طول الليل مسهداً أتقلب على جنبي من الفرح .

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة ..

وفي أحد الأيام لم أستطع أن أكتم السر عن صديقي صارحته بالحقيقة ، وحدثته عن حكاية خطابات المتبادلة .. وهنا كانت المفاجأة .. فقد نظر إليّ في دهشة وتشكك .. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه . وكلها بخطها وكلها تذوب حبًا ووجدًا وهيامًا .. وبعض العبارات مكررة في كلامها .. عبارات مثل

"نظرت إلى نجوم الليل فتذكرت سواد عينيك الجميلتين .. القمر مضيء مثل ابتسامتك"

وبعض العبارات منقولة من خطاباتي أنا لها .. ومن تغزلي فيها .. وألجمتنا الصدمة .. وظللنا ننظر إلى بعض في ذهول

كان من الواضح أننا كنا ضحية مهزلة مثلتها علينا .. نحن الاثنين .. ولمدة سنة نبكي ونسهر ونتعذب على لا شيء .. على كلام فاضي

وذهبنا إليها لنلقي في وجهها بالحقيقة .. فبكت واعترفت .. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين .. وإن حبها لنا ينمو معها منذ الصغر .. وإن كل واحد منا صورة من الآخر .. لا تستطيع أن تفصل أحدًا ولا أن تختار أحدًا .. ولا أن تستغني عن أحد .. هذه هي الحقيقة .. وليظن كل منكما ما يشاء له ظنونه .. ولكني أحبكما . وهذا حبي الأول والوحيد

والمهم الآن أنه حبها .. بالرغم من هذه الخدعة

وأنا لا أدري ماذا يدور في قلب صديقي .. ولكني أعلم ما يدور في قلبي . وأعلم أني أحبها وأعبدها . وأني أعذر لها كل ما تفعل .. وأن حبي لها سيكون

حبي الأول والأخير في الدنيا

وحلمي الوحيد أن أتزوجها .. وأعيش معها ..

ما رأيك .. ؟

* * *

لو أن الظروف جمعتك على أي فتاة أخرى لوقعت في شرك حب تمامًا كما حدث مع هذه الفتاة .. وهذه دائمًا حكاية الحب الأول في كل مكان خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل .. مع أية فتاة تلتقي بها المصادفة

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى .. ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج

إنها الحرارة التي تبثها المراهقة .. واللهب الذي يبثه الشباب حوله في كل مكان ..

احتفظ بالخطابات لتقرأها حين تكبر .. واحتفظ بالقصة كلها في الدرج معها

إنها الآن تثير دموعك .. ولكنها غدًا لن تثير فيك إلا ابتسامة ناعمة .

١٤

الحنان

أنا مدللة صغيرة .. أعترف في أسلوبي الضعيف بأني أشعر بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائي . وهم يحبونني ويبادلونني الإخلاص والتضحية . وأبي كان مثلي وهو صغير . ولكنه فقد الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافًا جامدًا .. لا يؤمن بالعواطف

وأبي وأمي أكثر منه حدة وأقل منه إيمانًا بالحب . وهم يقولون لي إن كل شيء في الدنيا مصلحة وإن كل واحد في الدنيا يجري خلف منفعة

والغريب أن حكايات أمي وهي صغيرة تدل على أنها كانت عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلي ..

ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه بالإنسانية . لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون .. ما السبب .. ؟

من تجاربي البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب والحنان الذي يبذله الناس في هذه الدنيا

أنا مثلا .. عندما أظهرت لأبي – الذي كنت أظنه عصبيًا قاسيًا – حناني . وأبديت له حبي بدلا من خوفي .. وجدته يتحول إلى إنسان رقيق غاية في الرقة . ورأيته يفعل المستحيل ليحقق لي رغباتي . ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامي قاسيا

كذلك أمي لما حاولت أن أتفاهم معها بدلا من العناد .. وجدتها تحاول أن

تفهمني وتسمح لي بكثير من الحريات .

وعندما أعددت العشاء لأخوتي الساهرين في الخارج وكتبت لهم تحية مساء على ورقة .. طبعوا على خدي قبلة وأنا نائمة .. وفي الصباح لم يتعاركوا على المصروف

ما رأيك .. أليست المشكلة كلها هي مشكلة حاجتنا إلى الحب .. أم أني صغيرة كما تقول أمي .. ولا أفهم في الدنيا ؟

* * *

أنت لست صغيرة . أبدًا . ربما كنت صغيرة في السن .. ولكنك كبيرة في القلب والعقل .. أكبر منا كلنا .

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركي سرًا كبيرًا من أسرار الدنيا

إن الإنسان يبدأ حياته يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة . ثم يجف هذا النبع العاطفي في قلبه كلما كبر ويتحول مع الزمن إلى عجوز أناني بخيل لا يحس إلا مصلحته ولا يجري إلا خلف منفعته ..

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله .. ويتزلزل ثقته في الدنيا وفي الناس

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه .. وصديقه يستغله ولا يجد في قلبه رصيدًا يغطي هذا الفشل ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النضرة ويجف ويقسو .. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها ..

والسبب كما قلت أنت .. أنه لم يجد كفايته من الحنان .. لم يجده في الحب ولم يجده في قلبه .. فأفلس ..

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر

وشاح ، لأنه يجد في نفسه القدرة على بذل الحنان دائماً مهما حدث له . ومهما تلقى من صدمات .

وهذه القوة وحدها ستزيد حب الناس الذى حوله . وستجد نفسه فى الحب

وهذا هو ما حدث لك مع أبيك وأمك ..

إن مشكلتنا جميعاً هى كما تقولين فى خطابك .. حاجتنا إلى الحب . إن عرفك لضمير المسعد هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت فى كتابة هذا الباب

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١٥

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتى حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة . وكان نتيجة لتحضيرى هذا أنى أصبحت وسيطاً فى شخص واحد . فقد تقمصتنى روح من الأرواح تدعى نعيمة . وسيطرت هذه الروح على تفكيرى بدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم . وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة من دون أن أراها ..

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة الأرواح

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولا . وما فائدة التفكير وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه بالعمل الذى أعمله بالطعام الذى آكله .. بالخطوة التى أخطوها .. بكل شىء .. كل شىء

وكانت نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت على الانتحار والجنون . وبحثت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد حتى المشرفون الاجتماعيون فى المدرسة ضحكوا علىّ ..

وأخيراً قادتنى ظروفى إلى جمعية روحية اشتركت فيها وأصبحت عضواً مريضاً بها أعالج بالجلسات الروحية ..

وتحسنت صحتى ولكن لم أشف تماماً .. وكنت أشعر حينما كنت أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود ..

وانقطعت عن الذهاب .. وعدت طبيعياً

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبيني من جديد .. والمشكلة أنها تسبب لي متاعب جسمانية لا علاج لها .. والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذه الحال لا أستطيع أن أكاشف أحداً بهذه المتاعب حتى لا يتهمني بالجنون .. ولا أعرف ماذا أعمل .. وأخشى أن أرسب في الامتحان كما رسبت في العام الماضي

وأخشى أن تعود هذه الروح إلى وأرجو أن تمد لي يد المعونة

* * *

ولا هذا كلام فارغ

تحضير الأرواح بالنسبة كلام فارغ . وحكاية الروح التي اسمها نعيمة التي ركبتك وعاشرتها وعاشرتك معاشرة الأرواح وفتحت لك مغاليق الغيب فأصبحت مكشوف الحجاب كلام فارغ ولو كنت مكشوف الحجاب حقاً لعرفت أسئلة الامتحان وعرفت الأجوبة ، ولما رسبت في الامتحان كما تعترف في خطابك وكان في إمكانك أن تذهب إلى سباق الخيل لتلعب وتكسب ملايين جنيه على كل الخيول الرابحة مادمت تعرفها مقدماً ولرفضت فوراً هذا الزواج الروحي بالست نعيمة بتاعتك ، فهو زواج مريح جداً لا يحتاج إلى إيجار شقة ولا إلى عفش . ولا مسئولية بيت وأكل وشرب وأولاد إنه لذة صرفة بابلاش بدون تكاليف وعليها نقشيش كمان هو الاطلاع على الغيب مجاناً .

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابح مادمت تعرفه مقدماً ..

واشتره واكسب ألف جنيه يومياً .. ولا تبك على حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك .. وليه . واحد يدفع نفسه من مرض هو الجنة بعينها

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ . وأوهام في أوهام . وخيالات أوحيت بها إلى نفسك وصدقت نفسك وإيمان ساذج رحت ضحيته

وأؤكد لك أنك ستشفى تماماً في اللحظة التي تفقد فيها إيمانك بتلك الأرواح الخرافية

وسوف تفقد إيمانك في اللحظة التي تناقش فيها نفسك في هدوء وثقة وبدون خوف ..

وتأكد أنه لا شيء في هذه الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان إلا الله وحده ، فالإنسان قد أثبت أنه عجيب أكثر من الشيطان نفسه .

فهو قد صنع القنبلة الذرية وطار في صاروخ إلى القمر وركب كوكباً ودار به حول الأرض ..

ومن الذي ركب الكوكب ودار به حول الأرض ؟!

امرأة اسمها فالنتينا .

يارجل عيب .. فوق لنفسك ، مش عيب بتى في عصر فالنتينا ... وأنت في عصر نعيمة

١٦

عقب السيجارة

بدأت حياتي بزواج فاشل انتهى بخيبة زوجية وطلاق .. أعقبته سنوات من الوحدة والمرارة والخراب ولأعصاب التالفة والأمراض والمتاعب الجسمية والنفسية من كل نوع

كنت أشكو الصداع المزمن وسوء الهضم وأدمن على المنومات والمسكنات وكان هناك ما يحرقني أكثر من هذه المنغصات الجسدية

الشك وسوء الظن وفقدان الثقة وفقدان الأمل واليأس من الدنيا .. ومن الوفاء .. ومن جنس النساء على إطلاقهن

عشت سنوات وأنا بهذه الحالة النفسية أتحرك مهمولا شاردا كشبح أعيش في عزلة مهما خالطت الناس ومهما غشيت السهرات والمنتديات وأحيانا كانت هذه السهرات تزيدني وحدة كنت أشعر أني منفصل عن الضحكات حولي منعزل عن القهقهات المرحة غائب في نفسي .. في التيه المظلم في داخلي

ظللت على هذه الحال حتى عرفتها، كانت امرأة في الأربعين مريضة عليلة دائمة .. استنفدت حياتها ثلاثة أزواج لم يتركوا لها سوى آثار باهتة من جمال، وبقايا من جسد مرهق وبيت خرب .. ولا طفل .. ولا طفلة .. ولا ذكرى

وبدأ كل منا يفضي بهمومه إلى الآخر

وتوثقت بيننا مع الزمن رابطة غريبة .. هي رابطة الألم

كانت تقول لي .. وعيناها دامعتان

ما نفعي .. لقد انتهيت .. لم يعد هناك رجل يمكن أن ينظر إلي .

ولكني كنت أنظر إليها وأحتضنها بعيني وقد ذابت شكوكي على وقع كلماتها أخيرا .. أحسست أني أثق في امرأة من جديد

كيف حدث هذا ؟ لست أدري !

وتطورت الأمور بسرعة .. وعرضت عليها الزواج .

وثارت العائلة .. وواجهني الكل بزوبعة من الصراخ والاحتجاج

كيف تتزوج من هذه العجوز العليلة الذابلة التي امتصها الرجال .. وأنت رجل في الثلاثين في كمال رجولتك وصحتك .. عن جميل جذاب .. لا ينقصك شيء .

إنك تلتقط عقب سيجارة دخنها الكل .. ولم تعد تصلح لشيء

وصارحني خال الطبيب بأن مرضها لن يمهلها أكثر من سنة .. وأنها مقضي عليها بالموت لا محالة .. فزاد هذا من تمسكي بها

وأنا الآن أستعد لإتمام الزواج في الأيام القليلة القادمة ..

سوف أتزوجها مهما حدث ..

الكل ضدي .. الكل يجادلني .. ولكني أحبها ما رأيك في هذا الحب ؟

* * *

أخشى أن أقول لك إن هذا ليس حبا كما تتصور .. إنه مرضك القديم الذي وجد دواءه في هذه المرأة .. إن مشكلتك الحقيقية أنك فقدت الثقة في كل النساء .. وأصبح ظل الخيانة يحوم حول كل امرأة تنظر إليها ولهذا استحال أن يتجدد حبك ..

ولهذا ظللت تعيش فى وحدة وضياع حتى عثرت على هذه المرأة

امرأة نبهت على حد تعبيرها هى .. ولم يعد لها نفع .. ولم يعد من الممكن أن ينظر إليها رجل كانت هذه الكلمات كقطرات الندى التى نزلت على أعصابك

ها هى ذى امرأة لا يمكن أن تكون موضع شك .. ولا موضع خيانة وشعرت بالراحة .. فى أعماقك .. فى أعماق عقلك الباطن ..

وحينما قال لك خالك الطبيب .. إنها ميتة . ولن تعيش أكثر من سنة . شعرت بالاطمئنان أكثر ، فسوف تتزوج جثة لا يمكن أن تخونك أبداً

كانت هذه الأحاسيس تحاصرك من الباطن وكان عقلك الواعي يخدعك ويصور لك هذه الأحاسيس والروابط على أنها حب .

ولكنها ليست حبًا .. إنها عقابك لنفسك .. وسوء ظنك الذى تحكم فيك .. ثم حكم عليك بهذا الاختيار المريض

انظر إلى حياتك من جديد .. وحاول أن تتخلص من هذه العقدة إن الدنيا مليئة بالبنات .. وبالإخلاص والحب والخير

١٧

وما هى النظافة .. ؟

كانت جارتى

تبادلنا النظرات .. ثم الإشارات .. ثم تلاقينا .. لنتبادل الهمس وليضغط كل منا على يد الآخر ثم ذهبنا إلى سينما . وفى الظلام وشوشت فى أذنها بكلمة الحب .. ولمت يدها .. وحدها ..

وبعد شهور اختليت بها فى بيتى وأعطتنى نفسها .. جسدًا وروحًا .

وبعد أيام كنا نتكلم أنا وأبى وأمى ولاحظت أن أبى وأمى يتبادلان النظرات والابتسامات . ثم قالا لى إنهما خطبا لى عروسة . وذكرا لى اسمها ودار رأسى .. وأظلمت الدنيا فى عينى . فقد كانت هى نفسها . جارتى ..

وكان أبى وأمى يتكلمان فى براءة ..

وكانا مسرورين .. وكانا يقولان إنها ست طيبة وشريفة ومن أصل طيب . ومن المدرسة إلى البيت .. ومن البيت إلى المدرسة .. ولا تعرف مياعة بنات اليومين دول . ولم تطلع عليها سمعة سيئة مثل غيرها من بنات الجيران ..

وكنت أسبح فى عرق ..

لقد كنت الوحيد الذى يعلم أمر هذه البنت الشريفة الطيبة التى لا تعرف مياعة بنات اليوم .

كنت أنا الوحيد الذى أعرف مياعتها .. ودلعها .. وخسارتها .

ولأول مرة حينما بدأت أتصور أنها روحي أحسست أني أكرهها بكل ما في كلمة الكراهية من معنى ولا أطيق رؤيتها

لقد كان حلمي .. طول حياتي .. أن أعثر على امرأة طاهرة وأن أنهل منها حبا طاهرا عفيفا

ترى .. هل فات الأوان .. ؟

كان يجب أن تكره نفسك أولا

وكان يجب أن تبحث عن الشيء الضعيف في داخلك أنت أولا ..

إنك باسم الحب استدرجت صاحبتك حتى احتفيت بها .. ثم بصقت عليها .. واعتبرتها غير عفيفة .

غير عفيفة لماذا ؟ لأنها صدقت كلامك .. وطاوعت رغبتك .. لأن فيها نفس الضعف الذي فيك

إن الرجال أمثالك هم أسباب محنة البنات وعذابهن ويأسهن

إن الرجال أمثالك يجرون خلف المرأة .. فإذا استسلمت .. تركوها وإذا ردتهم خائبين .. تركوها أيضا !

والنتيجة أن الفتاة تقع في ورطة .. ماذا تفعل لترضي الرجل ؟ إنها إذا قاومته قال عنها رجعية .. وإذا استسلمت له قال عنها غير عفيفة

وهو يدعي أنه يبحث عن حب طاهر .. وهو في الحقيقة يكذب لأن الحب الطاهر لا يهمه بالمرة

والنهاية أن يتزوج في سن الثلاثين بعد أن يتعب من نفسه ومن عبثه .. ويترك دفته للخاطبة .. أو لصدفة تختار له .. ويدخل على امرأة ليس بينه وبينها

تعارف ولا تفاهم .. ويتحول إلى زوج شكاك غيور سخيف .. وتخونه زوجته من أول يوم لأنه لا يحتمل .

وهو في أحسن الأحوال يكون زوجا عصبيا بلا ثقة بسبب الإحساس بالنقص من نفسه ومن مثالياته .. ومثل هذا الزوج تخونه زوجته أيضا .. لأن وجوده مثل عدمه .

والنهاية أن تتحول حياتنا إلى فشل في فشل .

فشل في الحب .. وفشل في الزواج .. وفشل في الأسرة .. والسبب واحد في كل هذه الحالات .. وهو انعدام الصدق ..

لو كنت صادقا مع نفسك لما أنكرت على فتاتك أن تكون ضعيفة .. لأنك أنت أيضا كنت ضعيفا مثلها .. وقد تبادلتما أنتما الاثنان هذا الضعف

والضعف صفة من صفات البشرية .. وأنت أولى بأن تغفر لها ضعفها فقد كنت أنت سبب هذا الضعف .. وربما القدارة في أن تكذب عليك وتدعي الطهارة وهي ملوثة لتخدعك وتضحك على عقلك وتدعي أنك حب لتضحك على عقلها .. وتكون النتيجة أن يتحول المجتمع إلى جوقة من الكذابين

إن صاحبتك سوف تلعنك .. وسوف تلعن كل رجل تعرفه بعدك .. وسوف تعذب روحها .. وسوف تعذب أهلها .

وأنت السبب .. لأنك أفقدتها الثقة في نفسها .. وفي الدنيا .. وحيرتها .. وحيرت قلبها

ومثلك كثيرون .. ومثلها كثيرات

ويا ويلنا منكم .. ومنهن .. ومن أنفسنا

١٨

سجن بدون قضبان

ترددت كثيرًا في الكتابة إليك خوفًا من ألا تفهم موقفي.. وتتهمني بأني دلوعة. ولكني هأنذا أعترف وأكتب لك كل شيء.

أنا شاب في أوائل العقد الثالث من عمري. تخرجت في الجامعة من مدة بسيطة وحالتي المادية ميسورة ومظهري حسن.. ولكن مشكلتي أنني أحس بفراغ رهيب مخيف، وعدم اهتمام بأي شيء في الحياة مما يجعل أيامي ولياليي غير محتملة. فأنا أستيقظ من النوم حاملا على كاهلي هم وعذاب أنني سأعيش يومًا جديدًا كاملا.. ٢٤ ساعة. ولا أتصور كيف ستمر علي كل هذه الساعات. فليس لدي أي شيء أهتم بأن أشغل نفسي فيه وأكون سعيدًا بانشغالي به. وبما على العكس أنظر إلى كل شيء نظرة ازدراء وتجاهل وعدم اهتمام. ولا أعرف كيف أفسر هذا الشعور المؤلم الذي قلب حياتي إلى جحيم لا يطاق ودفعني للتفكير في الانتحار.

لقد أحببت لأول مرة حبًا جارفًا ملأ على كياني. ولكن بالرغم من هذا وبالرغم من أنني كنت أغلي كالبركان من الداخل. لم أكن يظهر علي شيء من هذا الشعور. ولم أصارح حبيبتي بأي شيء. وإنما كنت أقف لأحادثها بمنتهى البرود وكنت أعدها وأعد التراب الذي تمشي عليه.. وكان المكان الذي تذهب إليه هو عندي أحسن الأمكنة.. والساعة التي تحضر فيها أجمل الساعات. وكنت أتمنى أن أذهب وراءها إلى أي مكان تذهب إليه.. وأجلس

إليها طوال الوقت أسمع إليها وأتحدث معها وأنظر إليها. وكان قلبي يدق حينما أكلمها ولو في التليفون. وكان يكفي أن أرى فتاة تشبهها، حتى يهتز كياني كله. وبالرغم من هذا لم أظهر لها شيئًا.

وإذا بدا عليها أنها حزينة تحولت إلى أتعس إنسان في الدنيا. وأصبحت مهمومًا شاردًا وبالطبع لم يكن هذا الحب يؤدي إلى شيء.. وتزوجت هي وأصبح حبي شيئًا مضحكًا ومريرًا بالنسبة لي.. دفنته في جانب بعيد قصي من قلبي.. وانهمكت في دراستي بالكلية لأنساها. ومرت سنوات.

وانتهيت من الدراسة وحصلت على شهادة تؤهلني لأن مقدار تذهب وانتهيت إلى الحالة التي شرحتها لك.

تمر علي أيام.. لا أحس بأني أرغب في شيء.. لا أريد أن أقرأ أو أخرج أو أسمع موسيقى، أو أمارس أي هواية من هواياتي.. إنما أظل ممددًا على سريري لا تصدر مني حركة ولو لوقت يعتبر مملا قاتلا وأنا كالبركان الثائر من الداخل. كل أعصابي تغلي من حدة هذه الطريقة.

لم أعد أهتم بأصدقائي.. ولم أعد أهتم بالأشياء المحببة التي كنت تستعمل فيها وقتي كالموسيقى والقراءة والسينما والنادي.

وهكذا أعيش وقد عدمت كل شيء حتى الذكريات.. فذكرياتي سخيفة تافهة وحاضري فارغ ومستقبل مظلم.

لا أنتظر أن تبعث لي نصيحة أو حلا وحقيقة أنا لم أكتب منتظرًا أي حل.. وإنما أردت أن أريك بعض حالات الشقاء والتعاسة التي يمكن أن يعيش فيها الإنسان بالرغم من توفر الفرص والوسائل لديه ليكون سعيدًا.

* *

إن شخصيتك غريبة ..

إن فيك انطواء يدفعك دائمًا إلى أن تقمع انفعالاتك في قلبك ولا تطلقها .

لقد عشت في روعة حب .. ولم تحاول أن تمارس هذا الحب أو تجربة .. ولم تعش هذا على سبيل البرود أو الدلال .. ولكن فعلته جبنًا وخجلا وترددًا .. لانطوائك على نفسك وخوفك من الخروج منها .

وهكذا بدأت قصة حبك في داخلك .. وانتهت في داخلك دون أن يسمع بها أحد ..

وهكذا تسلك في حياتك كما كانت تسلك في حبك .. تقمع انفعالاتك .. وتعلق رغباتك على حبال الملل والانتظار .. ثم لا تكتفي بعدم العمل وإنما تتجاوزه إلى عدم الأخذ ..

إن شخصيتك تسودها البلادة والتعطل .. كل شيء فيها مضمر .. وممكن .. ولكنه غير واقع .

شخصيتك تشبه دولة بلا جهاز تشريعي وليس بها جهاز تنفيذي .. ومثل هذه الدولة تعيش في النظريات ولا تعمل شيئًا .

.. إن ينقصك ليس الحب .. ولكن العمل والبت والإيجابية والفعالية لفعل شيء أي شيء .. وإذا لم يكن لديك الرغبة فاحمل نفسك على فعل شيء .. ومن الحركة تتولد الرغبة .. وتتولد الأحلام .

إن حالتك موجودة في كثير .

أما إذا استمرت بك هذه البطالة فإنك سوف تختنق يومًا ما بالطاقة التي تمور داخلك ولا تجد لها منفذًا تعمل فيه .. وسوف تنتهي إلى أسوأ النتائج

١٩
الاختيار

تزوجت في سن الخامسة عشرة رجلا يكبرني بنحو ٢٠ عامًا تحت ضغط أب عنيد وأم جاهلة كل همها الثراء والمركز والمكانة التي تليق باسم العائلة .

حاربت هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة صراخ وبكاء .. ولكني لم أفلح ..

وباعوني كلهم

ودخلت وأنا أرتجف بيت رجل لا أحبه .. رجل قبيح خلقة وخلق .. بخيل .. شاذ الطباع .. شديد المعاملة .. كل كلماته أوامر .. كان لا يعود إلى بيته قبل الثانية صباحًا تفوح منه رائحة الخمر .. يترنح .. ويتكلم .. بفم معوج .

وتمضي لحظات الفراش ثقيلة .. هو من ناحية جلف هابط في مغازلته .. أناني لا يهمه إلا أن يحصل على متعته .. ثم يدير ظهره ويتركني .. وأنا من ناحيتي أعاني الخجل والاشمئزاز والإحساس بالهوان .

وكان طوال علاقتنا .. ضعيفًا في هذه المسألة ..

وكنت أشكو لأمي كرهي له وعزمي على الموت وحدي .. وكانت تنهرني وتقول لي كرهك وحبك لنفسك ضعيه في قلبك .. أما جسدك فهو ملك له

وسمعت كلامها .. وبدأت أترك له جسدي كخرقة بالية لا حركة فيها ولا روح .. وأنجبت أربعة أولاد .. وأنا أتعذب .. وأكتم في نفسي .. حتى انهارت أعصابي .. وأصابني ضغط الدم والقلب .. وبدأت تتناوبني الأمراض .

وبدأت أبتعد عنه جسمانيًا ..

كان هذا منذ اثني عشر عامًا .

أصبحت لا أحتمل مجرد سماع صوته أو رؤيته وكنت حينما أراه يدق قلبي بشدة ويكاد يتوقف وتنتابني حالات عصبية

ومنذ أربع سنوات انقطعت عن الكلام معه وأصبح لي جناح وحدي في البيت .. وله جناح وحده ..

وإلى الآن لم يطلقني . وهو يقول إنه لن يتركني حتى أصبح غير صالحة له أو لغيره

ولكني لم أعد صالحة له ولا لغيره .. منذ الآن ..

لقد أصبحت بعد عذاب ٢٥ سنة امرأة محطمة ، أولادي كبروا وأصبحوا شبابًا .. وأنا ذبت وأصبحت مريضة

والآن أريد أن أستريح .

أريد الخلاص منه بأي طريقة .. إنه لا يريد أن يطلقني

وأنا لا أستطيع أن أطلب الطلاق من المحكمة لأن مركزي ومركز أولادي ومركز العائلة لا يسمح .. لا أريد نصائح

أفكر في تدبير ديني لأصبح محرمة عليه ولكني أخاف من الله . كيف يكون خلاصي .. في نجيبة

* * *

إن العجيب في حكايتك هو صبرك هذا العمر الطويل .. هذه السنوات الخمس والعشرين حتى انتهيت إلى هذه الحالة من ضغط الدم والقلب والانهيارات العصبية والمقاطعة الجسدية . ثم في النهاية إلى عدم تبادل الكلام .

وأخيرًا وبعد خمس وعشرين سنة وبعد دفع كل هذه الضرائب الباهظة أحسست أن الحياة معه أصبحت لا تحتمل . إنه لابد من خلاص ..

وأي خلاص ؟! . خلاص يتم بمعجزة بدون أن يطلقك . أو تطلقيه بالمحكمة حتى بعد الخمس والعشرين سنة مازلت تخافين . وتقولين أولادي .. عائلتي .. مركز العائلة لا يسمح .

ولكن أمك حينما زوجتك بالإكراه كانت تقول هذا أيضًا .. مركز العائلة لا يسمح .. اسم العائلة يستدعي .. إلخ .. إلخ .

كانت أمك أسيرة المظهر المحترم والسمعة فاختارت لك زوجًا ذا لقب وأطيان

وتعذبت العمر كله لأنك عجزت عن أن تثبتي مصيرك كان البت يحتاج إلى إسقاط هذه الاعتبارات .. وأنت مثل أمك تحرصين على هذه الاعتبارات !

والمحاد أي قرار في الدنيا يحتاج إلى التضحية بشيء ..

حتى نقامر بحريتنا واختيارنا في كل لحظة وأنت تطلبين الأمان . وهذه شيمة الأمان

أنا أعرف الشيء الذي يرهقك .. إنه ليس كره زوجك . ولا ضعف منك .. إنه ضعفك . ضعفك أمام اللحظة الفاصلة .. لحظة اختيار المصير

ولكن ليس أمامك مفر

إما الاستشهاد إلى النهاية ودفع الثمن

أو الثورة ودفع الثمن

اختاري

حتى سكوتك اختيار تدفعين ثمنه

٢٠

حقيقة المشكلة

أنا طبيب حديث التخرج .. ناجح في عملي كما كنت ناجحاً في دراستي حالتي المالية من عملي ومن إيراد خارجي متيسرة جداً .. أمتلك سيارة .. وشقة خاصة .. مؤهلاتي الشخصية ممتازة .. رياضي متفوق في أكثر من لعبة .. صحتي جيدة .. شكلي جميل .. أنيق .. جذاب .. ذكي .. محبوب من الجميع خفيف الروح .. بارع في اكتساب الصداقات .. وفي استهواء القلوب

بدأت تجاربي مع الجنس الآخر من سن مبكرة .. من الخامسة عشرة وكانت لي علاقات كثيرة بعد تلك السن

وأنا الآن عضو في أحد أندية القاهرة .. وملك هذا النادي غير المتوج على قلوب حسانه .. ولكن للأسف فقد وجدتني أحب من لم تحظ مني بأقل اهتمام .. وقلبي الآن موزع بين ثلاث فتيات

فتاة أحبها ولا تحبني

وفتاة تحبني لدرجة الجنون ومحاولة الانتحار وأنا لا أحبها

وفتاة لا أحبها ولا تحبني ولكننا نتمتع معاً إلى أقصى حدود المتعة

إنني أعيش الآن في يأس .. وقد كفرت بالحب .. وحطت حالتي تماماً من الجانب العصبي.

ماذا أفعل لأكسب فتاتي التي أحبها

* * *

إنك في اللحظة التي تكسب فيها هذه الفتاة التي تدعي أنك تحبها .. سوف تضعها في خانة .. فتاة تحبني ولا أحبها .. ثم تبدأ في علاقة جديدة إنك شاب مغرور .. كل همك أن يكون لك عرش .. وأن تكون الملك غير المتوج على قلوب الحسان

إن ما يعذبك من فتاتك .. ليس حبك لها .. ولكن حبك لنفسك وغرورك .. الذي حطمته هذه الفتاة لأول مرة

ولن يكون حبك هو أن تجدها تحب أبداً .. وإنما سوف يكون حبك هو أن ترد اعتبارك لنفسك .. وتثبت لنفسك أنك مازلت فارساً وهذه سوف تلفظها بعد لحظة من استسلامها وتبدأ في البحث عن أخرى.

إن خطابك الذي يتألف من ثلاث صفحات .. يحتوي على صفحتين كاملتين. تتغزل فيها في نفسك : جاذبيتك .. حسنك .. صحتك .. شقتك الخاصة .. عربتك .. حالتك المالية .. ذكائك .. مهاراتك في استهواء القلوب .. نجاحك في عملك وفي دراستك .

وفي الوقت الذي تقول فيه إن قلبك يتعذب وعواطفك تحترق .. تسمح لنفسك بأن تتخذ امرأة أخرى للمتعة سوى حب من تحبك ولا من تحبها ولا يفعل هذا إلا إنسان بلا قلب وبلا عاطفة .. وبلا مشاكل من هذا النوع الرقيق الذي تدعيه

إن أحسن عقاب لك هو ما أنزلته بك هذه الفتاة .. التي كسرت شوكتك وحطمت غرورك .. وأرغمتك على احترامها وعبادتها .. وحبها تفهم كل فتيات النادي .. كيف يعاملنك ويكسرن أنفك الجميل .. سوف تصبح بحالك وتتأدب .. أيها الملك غير المتوج على دولة الحسن

٢١

التعب

أنا شاب في الرابعة والعشرين . تركتني خطيبتي قبل شهر ونصف بعد حب عنيف . وبدون سبب .. لتتزوج من غيري في بلد بعيد جداً تحملت الصدمة بمرارة ثم بدأت أسلك طريقاً سيئاً

أصبحت الفتيات وحيدات كل هوايتي أبدل الواحدة بالأخرى على قدر ما معي من نقود .. ثم تعرفت على امرأة ذات سلوك يسميه الناس بالسلوك السيء عشت أنها مصممة ومررت على علاقة تعطفها عرضت عليها الزواج فوافقت ثم أشعر نحوها بما يسميه الناس حب ولا حتى رومانسكية وهي أيضاً علمتها التجارب وعلمها الخداع أنه لا يوجد شيء اسمه حب أصبح الأمر بيننا أشبه صفقة

أنا أشعر بالحاجة إليها ولكني لا أفهمها وأحس بأن جميع عواطفها مغلقة أمامي ولم أر منها سوى بعض دموع في أوقات احتياجي لها وهي تشعر بالحاجة إلي .. ولكن ليس لديها حماس .. وأشعر بها باردة خاملة بين يدي ولا يجد أحدنا الشجاعة الكافية ليقول للآخر أحبك أعبدك أنت حياتي . كلانا يشعر أن هذا كلام فارغ ..

وأهلي يرون أن الحكاية كلها فاجعة .. ولا يوافقون . ويهددون ويتوعدون وأنا حائر

هل أتزوج الفتاة . أو أتركها .. وأعيش في أحضان القلق والإسراف

والإرهاق .. ؟

وكيف أتزوج كما يتزوج الناس . وأنا لم أعد أعرف شيئاً اسمه بنت حب . وحب . وانتظار . وخطوبة . وشرف وكرامة وسعادة روحية ؟

* * *

إن اليأس هو المأذون الذي سوف يعقد زواجكما .. كلاكما محطم يائس فقد نفسه الصدأ وفقد البريق والنضارة وكلاكما ينتحر . هي مصممة تعاشر معلمها وتتزوجك في نفس الوقت وأنت تعاشر شبح مرأة هجرتك وتحاول أن تضع يدك في يدها وأنت لا تعرفها ولا تفهمها وتطلب منها الزواج

إن العلاقة بينكما مفقودة تماماً .. وكل منكما يعيش في عزلة عن الآخر مغلق على مأساته .. ومشكلته ..

وما يربط بينكما هو التعب . والضجر .. والملل .. ومثل هذه العلاقة مقضي عليها بالفشل .. إنها مثل المولود الذي يولد ميت

اصرف النظر عن هذا الزواج واقطع علاقتك بامرأة وبكل النساء واقض بضعة شهور في صوم وتفكير حتى تستعيد شهيتك الطبيعية وإقبالك على الحياة .. وأشواقك القديمة

إن أسوأ ما يفعله المحب بعد صدمة عاطفية أن يمضي في علاقاته .. إن مرارة الفشل تغير طعم الحياة في فمه وتشوه أحكامه دون أن يدري فتصبح كل علاقاته مريضة يسكنها الحقد والشر ..

بعد المشوار الطويل الذي يقطعه القلب .. نحتاج إلى راحة طويلة .. تماماً كما نفعل بعد المشوار الطويل الذي نقطعه بأقدامنا فالعواطف كالدم واللحم ... والأنسجة تحتاج إلى وقت لتتجدد .

٢٢

علم الإمكان

أنا سيدة جميلة في العشرين من عمري. بدأت حياتي طفولة تعسة. كان لي أب ولكنه بخيل جدًا، شرس حاد الطبع يلجأ لدرجة القسوة فيضربنا جميعًا ضربًا مبرحًا. والعجيب أنه كان يضرب أمي. والأعجب أنه كان يضرب أمه. وأنه جارحة قاسية لأقصى حد. يدخل المنزل مقطب الحاجبين. ولا يلقي كلمة تحية.. فينزوي كل من في البيت في رعب.

وكان أبي يضطهدني أكثر من باقي إخوتي لأني كنت دائمة الرسوب ولم يكن يعلم أن رسوبي بسببه.. وبسبب الرعب الذي وضعه في قلبي.

وشاء الله بعد ذلك في إحدى السنوات. بدأت أنجح في المدرسة وأتفوق وأطلع الأولى.. وأحببت المدرسة.. ومرت سنتان.. وأنا على تفوق ونجاح.. ثم بلغت السادسة عشرة وبدأ الخطّاب يتقدمون لي وأبي يضغط عليّ لأتزوج. وكنت أسمعه يقول: إن البنات نكبة على الحياة، وإن الزواج هو الحل الوحيد للخلاص منهن. وكان أحيانًا يشتمني، ومرة يضربني، ومرة أخرى يهددني بالقتل إذا لم أتزوج. وأمي كانت في هذه الأحداث بين نارين. فهي تعطف عليّ. ولكن ما باليد حيلة.. وهكذا وجدت نفسي مجبرة على الزواج.

وصدقني: لقد ألقوا بي كما يلقون بكلب في الشارع، ووجدت نفسي مع رجل طيب يحبني ويعطف ويغار عليّ، ولكنه بخيل وسمج لا يعرف الذوق في

ألفاظه ولا في معاملته، دائم النقد لكل الناس.

وبرغم أن زوجي كان أكثر عطفًا من أبي إلا أني كنت أسعد حالًا في المدرسة. كانت لي هوايات وأمارسها.. وكانت لي شخصية.. وكانت لي أحلام.. كنت أحلم بأن أجرب الحب.. وأذوقه.. ولكني كنت أخاف من الحبس في البيت والضرب والقتل.

أما الآن فإني أشعر أن حياتي انتهت. لم تعد لي هوايات. ولم أعد أستمتع بالجلوس مع صديقاتي. ولم أعد أجد لذة في ثرثرة. فقدت صبري وفقدت آمالي.. ولم أعد أطيق شيئًا.

الشيء الوحيد الذي أصبحت أحبه هو الخروج، بشرط أن أكون وحدي. أسير في الشارع. أدخل في أي دكان موسيقى. ولكن زوجي لا يحب الخروج.. ويلازمني في كل خطوة..

إن زوجي عبء.. عبء فظيع.. وأولادي عبء. وبيتي عبء.

لا تقل لي: أحبي زوجك. فهذا مستحيل. لا تقل لي: شغلي نفسك بهواية. أو دراسة.

إني أشعر بهبوط في نفسي باستمرار.. وهبوط في جسدي.. وصداع أليم وعجز عن كل شيء.

لا تبخل عليّ برد سريع، أرجوك.

أنا الأخت الصغرى لصاحبة الرسالة. وقد أعطتني رسالتها لأقرأها قبل إرسالها إليك. وقالت لي إنها لا تشعر أن رسالتها مقنعة. ولكنها لا تقوى على الكتابة أكثر من ذلك.

والواقع أن أختي حالتها أفظع بكثير مما وصفت لك.. إنها ساخطة

شارده منهوكة القوى دائماً كأنها خارجة لتوها من عمل مرهق .. كانت عاطفية .. ولكنها الآن تهرب من العاطفة .. ولا تطيق سماع أغنية فيها عاطفة .

إنها تريد الهروب من كل ما يمت لواقعها بصلة

إنى قلقة عليها كثيراً .. وخصوصاً أن صحتها فى تدهور .. لا تنصح لها ياسيدى بالطلاق .. لأن لها أولاداً صغاراً من زوجها .. ووالدى كما وصفته لك .. لا يحب أحداً .. ولا يطيق مجرد إنسان معه فى المنزل حتى ولو كان ابنه أو ابنته

وليس لديها الصبر لتكمل دراستها أو ممارسة أية هواية .. لا شىء تفعله الآن سوى الشرود .. والشرود فى لا شىء

أتمنى أن تساعدها

• • •

سيدتى

أنت سجينة فى بيتك .. ولكنك قد سجنتى أنا أيضاً فى أفكارى .. وكتفت يدى .. وجعلت كل الحلول غير ممكنة .. وغير مقبولة

وحينما يحيط بالإنسان عدم الإمكان من كل طريق وتسد عليه المنافذ .. لا تبقى له إلا بطولة واحدة .. هى بطولة الخضوع .. والاحتمال

وعزاؤك أن جميعنا مثلك إلى حد ما .. أبطال قصة مغلقة فاشلة .. نهايتها الموت .. برغم كل أحلامنا وآمالنا .. كلنا نذبل على فروعنا .. ونموت عطشاً والماء حولنا .. والشمس فوق رءوسنا

اكتبى قصتك على فصول طويلة .. فأسلوبك جميل .. وأنا أحب أن أمر أختك على الصعيد كيف يعيش هناك الناس .. ويفكرون .. ويحلمون .. ويموتون

٢٣

بالمصادفة

أنا شاب فى العشرين .. فى كلية الهندسة بالإسكندرية .. مرح .. بسيط .. منطلق .. ولو كنت فى داخلى أعانى فراغاً عاطفياً هائلاً .. وليس معنى هذا أنى أعيش فى عزلة .. لا أعرف النساء ولا أعرفهن .. فالحقيقة أن لى صولات وجولات فى عالم الغرام .. ولى خبرة بالنساء يحسدنى عليها الكثيرون ..

تعودت هذا الصيف أن أذهب وحدى كل مساء إلى محل عام وأجلس على مائدة لا تتغير .. أتناول عليها قدحاً من الشاى وأنصرف

وفى مساء يوم منذ شهر تقريباً دخلت إلى المحل سيدة سارت بين الموائد واتخذت لها مكاناً .. بالمصادفة المحضة .. بجوارى .. وطلبت .. بالمصادفة أيضاً .. قدحاً من الشاى واللبن

سيدة لم تتجاوز الثلاثين .. كل ما فيها يجبرك على أن تحترمها .. نظراتها الهادئة .. مشيتها المتزنة .. وتصرفاتها الرزينة .. ومظهرها الذى ينم على أنها فاضلة .. جميلة .. وأنيقة

وكعادتى .. لم أهتم بها .. أو بمعنى أصح تظاهرت بأنى مشغول عنها معتقداً أنها لابد فى انتظار شخص ما .. رجل أو امرأة .. وبعد حوالى الساعة نادت الجرسون وأعطته ثمن ما تناولت وانصرفت

فى المساء عند نومى لم أعلق للأمر أهمية .. بل لم أذكره كلية

وفى نفس الموعد فى اليوم التالى أقبلت السيدة واتخذت مكانها بجوارى

وتناولت الشاي والغلي .. ولم يحضر أحد لمقابلها ، وبعد ساعة انصرفت

وتكرر حضورها يومياً وبدأت نظرتي تفحصني .. وبدأت السيدة تلاحظ ذلك

وبعد أسبوع . وبعد أن اتخذت مكانها بجواري ، تقدمت إليها وعرضت عليها أن نتناول الشاي على مائدة واحدة . ولم أكن أتوقع أن توافق ولكنها وافقت في الحال ويومها كنت أسعد مخلوق وتبادلنا حديثاً بسيطاً لا أثر فيه لغرام أو عبارات الإعجاب .. وانصرفنا على أن نلتقي غداً ..

وتقابلنا وعرفتها وعرفتني وتكرر لقاؤنا حول أقداح الشاي نتناول حديثاً كله بساطة .

ثم بدأنا نتمشى معاً كل ليلة على الكورنيش يدها في يدي نتهامس ونتضاحك . وكنت أحياناً ألمس خدها بخدي فيحمر وجهها في خجل وتنظر إلي في عتاب

وعرفت عنها حينئذ كل شيء . إنها متزوجة تعيسة في زواجها فزوجها يكبرها بعشرين سنة ، بخيل ومختل العقل ، يعاملها بقسوة ويضربها ويشتمها بألفاظ مقذعة حكت لي هذا وهي تبكي وقالت إنها بالرغم من كل هذا لن تخونه . لأن ضميرها لا يطاوعها .. أن تفعل هذه الفعلة الشنيعة

ومن يومها وأنا لا أنام .

طيفها وحبها يطاردانني في كل لحظة .. وقلبي يحدثني .. وضميري يؤنبني لأني أغريتها بصداقتي على علاقة لا ترضاها

أحس أني مذنب وأنها إنسانة طيبة وديعة . ألقتها المصادفة بين يدي ماذا أفعل . إني أعيش في قلق دائم .. عذاب

لقد فتحت الكلية أبوابها منذ أيام وسافرت إلى الإسكندرية وعرفت بعد أن تواعدنا على اللقاء .

ولكني أعيش في سرحان وشرود دائم .. أفكر فيها وأتذكر كلامها وضحكاتها .

مانهاية هذا الحب ..؟ الزواج ..!! وكيف أتزوجها وهي متزوجة ؟ إن الشعور بالإثم يقتلني ووجهها البريء لعاصي لتى يطاردني في كل مكان

ماذا أفعل .. وأنا بين نارين . حبي . ودراستي ؟

* * *

تستطيع أن تريح نفسك من هذا الشعور القاتل بالإثم فلا أظن أن الأمر حدث بالمصادفة كما ظننت

ليست المصادفة هي التي جاءت بها على الكرسي بجوارك ولا المصادفة هي التي جعلتها تطلب الشاي بالذات مثلك .

ولا المصادفة هي التي جعلتها توافق في الحال على مشاركتك المائدة وتؤنسك بحديثها المهذب الرزين .. ووجهها البريء الفاصل التي

لم تكن ذنباً محكماً كما ظننت نفسك .. وإنما أنت في الغالب لصيدة من الصياد

هذا مع احترامي لخبرتك وجولاتك وصولاتك في عالم الغرام وقصة الزوج الذي يكبرها بعشرين سنة والعقل المختل . ولقسوة الضرب .. والألفاظ المقذعة .. هي في الغالب حكاية لاصطياد عواطفك .. وإسباغ ثوب من الشرعية على هذه العلاقة . حتى تسمو وتقوى

أكلها .. وأنت طبعًا أكلها . ياعريري الدئب الطماع

احتفظ بمواعظك لمناسبات أخرى

وفكر في مستقبلك ودراستك . ولا تضيع وقتك . فهي لا تضيع وقتها مثلك . وعندما تنطق أنها الآن في القاهرة تشرب الشاي والكيك مع دئب آخر حتى في المساء مثل ميعادك .. بالمصادفة . طبعًا كالمعتاد

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٢٤

الأسلوب المناسب

منذ ثلاث سنوات وأنا أحبها وتحبني .. ونتحادث يوميًا بالتليفون .. ونخرج معًا مرة أو مرتين كل شهر فنذهب في نزهة بريئة إلى إحدى الضواحي

لم نتجاوز هذه الحدود قط

ثلاث أو أربع مرات فقط أوصلتها إلى البيت وصافحت على يدها مصافحة حميمة . ومرة واحدة أمسكت يدها وطبعت على ظهرها قبلة .. فردتني بعنف وأدب وأفهمتني أنها لا تحب هذا الأسلوب وأنها ليست من ذلك الصنف من البنات اللاتي تستهويهن هذه الأمور وأنها إن كانت تخرج معي وتحادثني في التليفون فإنما تفعل هذه للمرة الأولى في حياتها وعلى حساب أعصابها

ومن يومها لم أكرر هذه المحاولة وصدقتها .. واقتنعت

هي آنسة في العشرين أو حواليها قليلا خريجة جامعة القاهرة تشغل في الوقت الحالي وظيفة حكومية على درجة كبيرة من الجمال تمتاز كما في أسرتها بالطيبة والهدوء والسمعة الحسنة .. وهي موضع احترام الجميع

أما أنا .. فشاب جامعي في الخامسة والعشرين .. أشغل إحدى المهن الحرة عادي في كل شيء عرفت قبلها كثيرات ومارست معهن كل أنواع الهوى والحب .. أعرف في الوقت الحالي اثنتين غيرها .. أزاول معهن علاقات شابي بقدر معقول . وبدون ارتباط مع أيهما بشيء . أحب صديقتي جدًا وأنتوى الزواج بها هذا العام .. فما رأيك .. ؟

مارست فى هذا الحب الذى ظل أملاطونياً طيلة هذه السنوات الثلاث ؟

إن أصدقائى يقولون لى أنت عبيط .. خيبة . مش عارف توصل دى عامية ثقيلة ومؤدبة عشان تتحورك

وأقرأ فى القصص .. عن الضلالات .. والأحصان . وعن الفتاة التى تحتقر صاحبها لأنه يخاطبها بأسلوب عذرى

هل صحيح أن كل الممتنعات كاذبات وممثلات ؟

ألا يجوز أن تكون هذه الفتاة صادقة فعلا .. وعفيفة فعلا .. وتريد فعلا أن تحتفظ بأجمل مال الحب لما بعد الزواج

أجبنى بصدق أرجوك .. ولا تحاول أن تطيب خاطرى ..

* * *

واضح من كلامك وحسب قولك . أنك عرفت بنات كثيرات مارست معهن كل ألاعيب الهوى، وحسب وأنك حالياً تعرف فتاتين فى وقت واحد تمارس معهن حماقات شبابك .

ومعنى هذا أن الشىء الوحيد لدى رشح صاحبتك للزواج فى نظرك أنها رفضت أن تكون مثل الأخريات هذه رخصة الزواج الوحيدة فى نظرك

وهذا يكشف عن أزمة الست العصرية . إن صاحبها يحدثها عن التحرر والعقلية العصرية وحق التمتع بالحب ويلح ويلح ثم يغدر بها فى النهاية ولا يتزوجها إذا طاوعته فى هذا التحرر ويكشف لها فى النهاية عن نصاب رجعى أشد رجعية من جدها .. يطالبها بالعفة إلى آخر حدودها .. ومعنى هذا أن المشكلة بالنسبة للست الآن لم تعد مشكلة كذب وصدق

وإنما أصبحت مشكلة اختيار السلوك المناسب

والسلوك المناسب مع أمثالك هو أن تتصرف صاحبتك بالضبط كما تصرفت .. لأنها لو تهاونت لحظة فى أى شىء .. لضممتها إلى طابور الفتيات اللاتى تمارس معهن حماقات شبابك

ليست المشكلة هى مشكلة تمثيل .. أو تصرف على الطبيعة .. لأن ٩٠ ٪ من الرجال محتالون لا يتصرفون على الطبيعة وإنما يدعون حريات لا يؤمنون بها فى أعماق نفوسهم

هناك عملية كذب عام شامل منتظم بين الرجال .. لا تجد البنت أمامه مفراً من الاحتيال ومواجهة كل ظرف بالأسلوب الذى يناسبه .

تزوج صاحبتك .. ولا تتساءل .. فليس لك الحق فى هذا التساؤل

إن صاحبتك هى الوحيدة التى فهمتك .. وكشفتك

٢٥
كوبرى السعادة

أنا آنسة في الستين.. عشت حياتي الطويلة المريرة كالكوبري الممدود عبر ثلاثة أجيال.. لم أعرف الحب.. ولا الزواج.

في العاشرة كنت أحمل أخي الطفل وأرعى له.. وفي الثلاثين كان الطفل قد كبر وتزوج.. فحملت أطفاله.. والآن وقد كبر أطفال الأطفال.. وتزوجوا.. بدأت أستقبل على صدري الهشيم الصامر أمامهم لأعبر بهم السنين الباقية من حياتي.

أنت لا تعرف معنى أن تعيش على الشاطئ.. وتقضي في الحرمان ستين عامًا.. وأنت عطشان.. لا يمكن أن تعرف هذا لأنك لم تجربه فأنت رجل.

وفي صباي كانوا يقولون إن الرجال خلقوا للشارع والمدرسة.. والنساء خلقن للمطبخ.

وكان أبي متوسط الحال يحلم بتربية أولاده في الجامعة.. وكان ثمن الحلم بعد أن ماتت أمي أن أظل في البيت لا أبرحه.. أطبخ وأغسل وأمسح البلاط لأوفر ثمن خادمة وطاهية وغسالة.. وأعاون أبي في تحقيق حلمه الكبير.

كنت الثمن الذي دفعه حيًا من لحمه ودمه.. لتتخرجوا الجامعة وتتعلموا.. وتقولوا للعالم.. نحن الرجال..

وقد كنت سعيدة بهذه التضحية.

كنت أمًا عذراء لأجيال ثلاثة تربوا على صدري.

ولكني الآن وقد تغيرت من حولي الدنيا.. أحس أني غريبة في عالم غريب.. عالم مليء بالثرثرة والغرور والحب والإلحاد والثورة.

بناتي وصبياني الذين ربيتهم وسقيتهم شبابي وعمري.. ينظرون إليَّ كأنهم ينظرون إلى تحفة أو أنتيكة.. ويسخرون مني لأني لا أفهم في الوجودية والسياسة والحب.. ويضحكون عليَّ.

لقد انتهت دولتي.. ومطبخي الصغير احتله الطاهي.. ولم يبق لي سوى البكاء في صمت إلى جوار النافذة.

كنت أطمع في شيء واحد.. هو التقدير.. ولكن حتى هذا لم أحصل عليه..

كم أنا تعسة..!!

أيتها الأم الكبيرة

إن بناتك اللاتي يقرأن في الوجودية.. والسياسة والحب.. لا يفهمن شيئًا من السياسة ولا من الحب.. ولسن جديرات بأن يكن خادماتك.

أنت الحب بالماء.. وأنت الشرف والواجب والتضحية والفضيلة.

لقد ارتضيت أن تكوني الضريبة على الأجيال الجديدة.. الضريبة الفادحة على رأسمالية العلم والثقافة والحرية.. التي تسلمها الرجال خالصة من بعدك.

إن كل هذه الثرثرة والمعارف هي بعض من فتات موائدك.

وإن كنت وجدت العقوق من أبنائك.. فاغتفريه.. فهذه حال الأبناء أمثالك.. وكذلك إحساس المرأة التي حققت شيئًا عظيمًا.

إني أنحني احترامًا لك.. وأقبل يديك بمريم الطاهرة.

٢٦

النضج المبكر

أنا فتاة فى السادسة عشرة .. فى المرحلة الثانوية .. محبوبة من كل من حولى .. حساسة جدًا من الناحية الدينية . فأنا مثلا أتمسك بالصلاة وقراءة كل ما يكتب عن الله والأنبياء . وكنت أصاب بحالات من البكاء والعصبية والرعشة بعد أن أقضى فى الصلاة والدعاء . ولكن هذه النوبات قلت الآن كثيرًا

أحب السحاب الأبيض وأبكى عند رؤيته . وأحب القمر .. والمطر وأحلم بالملائكة والآخرة وقضى ساعات طويلة فى قراءة القرآن . ولكن للأسف الشديد لا أعتقد أنى مؤمنة إطلاقًا فكثيرًا ما كنت أفكر وأنا فى وسط صلاتى أنه قد لا يكون هناك إله

لا أعرف إن كنت أحب الناس أم لا . ولكنى أشفق عليهم إلى حد غريب وأحب حب شعورهم لا كثر

أغضب أصدقائى من شدة عاطفتى يعصون إلى بأسرارهم .. ولما كنت من البداية عن استعداد بتنفيع بعضهم عند أصحب بصرفاتى رحولة إلى أبعد حد . فمثلاً لا أستطيع أن أضحك دون ضجة .. ومشيتى عسكرية وتفكيرى خشن فقط كتفكير الرجال . ولا مانع عندى من اقتحام أسرار أى شاب دون خجل .. وأغضب وقتى أقضيه منطوية مع الكتب .

بدأت مشكلتى عندما لاحظت أنى أصبحت أحلم كل ليلة أكثر من عشرة

أحلام ملخصها جميعًا .. أنى لست عذراء .

وتطورت الأحلام فأصبحت أحلم أنى عارية تمامًا أمام والدى . وأن والدى ينظر إلى نظرة حنان غريبة

وبدأت أتعقد من ناحية والدى .. بدأت أفكر أنى شاذة . وأخاف من شذوذى

وبمرور الوقت صاحت المشكلة تاركة وراءها شعورًا غريبًا ناحيته .. وثوب صاعت المشكلة لتبدأ غيرها . فقد بدأت أشعر بنفس الشعور تقريبًا ناحية أخى الصغير . فكنت أخاف من أن ينام جنبى . وأستيقظ أكثر الليالى فزعة مشتررة عندما يلمسنى بيده مصادفة . وبدأت أشعر بالنفور منه وأنام فى مكان آخر !

والآن .. أو بالأصدق .. منذ حوالى ثلاثة أيام تقريبًا . انتهيت بنفسى وأ أفحص زميلاتى فى المدرسة . وأقول تلك جميلة جدًا . وهذه حلوة . وهؤلاء مقبولات .. الخ .. إلخ

و .. وعادت مشكلتى من جديد

هل أنا شاذة .. هل من الممكن أن أرتكب هذه القذارات

بالأمس كانت ستنام أختى الصغيرة بجوارى . فهربت من الفراش لأنام على الأرض .. وأمضيت الليل فى خوف ودوار وابتهال إلى الله

أنا الآن أفكر فى الموضوع وأتساءل .. هل أنا واهمة ؟ هل السبب كثرة اطوائى وتفكيرى فى نفسى ؟ هل لأنى بحثت تمامًا عن حواديتات ؟ أم أن السبب هو شدة خوفى من الخطأ .. أم أنى شاذة حقًا ؟ وم ؟! . وم أفعل أى شر أو أذى لمخلوق .. هل الله يكرهنى لأنى كفرت به .. ؟

وسأحاول مساعدتك . فأنا لا أعتبر نفسي جميلة وأنا خجولة وحساسة جدًا وجياشة العاطفة .. وأقول لك حادثة قد تساعدك

فقد حدث لي وأنا صغيرة جدًا أن فعلت معي فتاة كبيرة شيئًا قبيحًا . مازلت أذكره بالرغم من صغر سني وقتها وذلك لغرابة الأمر بالنسبة لي

هذه مشكلتي . وهي مشكلة تتعاظم معي يومًا بعد يوم

وأشعر بأني أكره نفسي .. وبأني أود تعذيب نفسي .. ولا أعرف لهذه الآلام نهاية ..

أرجوك لا تحتقرني .

* * *

أنا لا أحتقرك . وربما على العكس .. أنا أشعر أنك إنسانة فاضلة وعلى درجة غير عادية من النضج والوعي بالنسبة لسنك فأنت أكبر من سنك بكثير وعندك قدرة على استبطان مشاعرك واستجلائها لا يملكها الكثيرون ممن هم أكبر سنًا من الرجال أو النساء ..

ومشكلتك الحقيقية كانت في هذا الوعي والنضج المبكر وفي الحساسية المفرطة التي تستقبلين بها كل حدث حتى إنك تبكين لرؤية السحاب الأبيض وترتجفين لرؤية القمر

ومثل هذه الحساسية أمام حادث فحش كالذي حدث لك حينما اعتدت عليك فتاة وأنت صغيرة اعتداءً فاضحًا مثل هذا الحادث كان كفيلا بأن يقلب حياتك

أنت منذ تلك اللحظة تحاولين أن تكوني رجلا حتى لا يتكرر عليك مثل هذا الاعتداء . فمشيتك وضحكتك المجلجلة هي ضحكة الرجل . وبالمثل

مصادقتك للرجال والحفاظ على أسرارهم .. وبالمثل نظرتك إلى النساء زميلاتك وملاحظتك أن هذه جميلة جدًا .. وهذه حلوة وهذه مغرورة وهذه شفتاها مليئتان .. إلخ .. إلخ .. هي نظرة رجل

وخوفك من أن تنام أختك الصغيرة في حضنك هو خوف من أن تتكرر هذه الحادثة وأحلامك بأنك لست عذراء هو خوف نبع من تلك اللحظة المشئومة فأنت تخشين أن تكوني قد فقدت عذريتك من تلك اللحظة

وأحلام التعلق بالأب والأخ قد تكون معناها أن الأب والأخ هما نموذجك للرجل الذي تريدين أن تكوني على مثاله وقد تكون هي المرحلة الوجدانية الطبيعية التي قال عنها فرويد وهي المرحلة التي تتجه فيها عاطفة البنت إلى أبيها وأخيها وهي مرحلة عابرة تنطلق بعدها العاطفة حرة تبحث عن أليفها بين الرجال الآخرين .

أما سر العذاب الذي يطحنك فهو أن جميع هذه الحلول التي لجأ إليها عقلك الباطن هي حلول غير سليمة .. فأنت لست رجلا .. أنت امرأة ناضجة الأنوثة جياشة العاطفة .

والسلوك الرجولي الذي تحمله عقلك الباطن مرغمًا أمامك كان بالنسبة لك إهدارًا لطبيعتك .. وضياعًا لحقيقتك وهذا سر عذابك .

وأيا كانت المشكلة فقد هدتك نظراتك السليمة إلى معرفة السبب . ووضعت يدك على العلة

ولهذا فإن شفاءك من هذه الأمراض العصبية أكيد .

وسوف تستعيدين مرحك وحبك للحياة . فإن المعرفة هي مفتاح الشفاء العصبي

٢٧٠

دلوع

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري تبدأ مشكلتي منذ عام ١٩٥٦ يوم حصولي على التوجيهية .. وكان حلمي في ذلك اليوم أن ألتحق بكلية البوليس .. وأصبح ضابطاً .. ولكن الظروف خيبت أملي .. وألقى بي مكتب تنسيق الجامعات في كلية نظرية بالاسكندرية

وانتقلت إلى المدينة .. واتخذت سكناً إلى جوار الكلية .. وشاركني في سكني زميل من البلد

وفي الأسبوع الأول من إقامتنا رأيت زميلي يصحب إلى البيت وفي يده امرأة من الطريق .

وتشاجرت معه .. وحاولت أن أطرد المرأة .. واشتد بيننا الخلاف .. ثم تعمد على أن يغلق بابه ويفعل ما يشاء .. على أن تكون هذه أول وآخر مرة وشتمته في ذلك اليوم بأقذر الألفاظ .. قلت إنه سافل وعاهر وداعر .. وإني بريء منه إلى يوم القيامة

وأغلقت بابي .. وحسست أغلي من الغيظ .. وأستغفر الله

ومرت ساعة

ثم بدأت أتسمع الأصوات والحركات في غرفته

ومرت ساعة أخرى .. قمت بعدها وأنا أتصبب عرقاً .. وطرقت الباب .. ثم دخلت في خجل لأعتذر له وأطالب بنصيبي في الغنيمة

ومن ذلك اليوم تغيرت حياتي كلها

تعلمت التدخين حتى أدمنت بشراهة .. شربت الخمر وعرفت الشراب الرخيصة .. دخنت المخدرات .. ذقت كل أنواع الجنس .. مع المومسات والخادمات .

وكانت النتيجة طبعاً أني رسبت بدرجة ضعيف جداً

ولم أخبر أسرتي حتى لا يقطعوا عني النقود ولكن أبي عرفت وعاتبني .. فأجبتها ثائراً .. إني سوف أترك الدراسة .. وأبحث عن عمل .. وإني لا أريد منهم مليماً .. وكانت النتيجة أنها بكت .. وقبلت رأسي

وتوسلت إليّ أن أعود إلى دراستي .. وتعهدت لي أن تدفع لي مصروفاتي وكل ما أطلبه .. وأقسمت ألا تخبر أبي بشيء

وعدت إلى دراستي .. وهذه المرة أخذت شقة لوحدي .. وتوسعت في الجنس .. والقطع رسبت للمرة الثانية .. وكالعادة لم يعرف أبي

وفي هذا العام تركت شقتي .. وسكنت في بنسيون تملكه امرأة إيطالية وحاولت أن أنسى فشلي ورسوبي .. بالإغراق في الخمر .. والإغراق في معاشرة الإيطالية صاحبة البنسيون التي تعدت سن الأربعين .

والمشكلة الآن أن أبي يعتقد أني في السنة الثالثة .. وباقي لي على الليسانس سنة واحدة بتمة .. وهو يعد العدة ليعرج في

خطب لي بنت رجل غني جداً .. واشترى لي سيارة يقدمها هدية لي على شطارتي .. وهو ينتظر يوم السعد .. يوم تخرجي

وأبي رجل طيب حج سبع حجات .. وأمي لا تستطيع أن تصحح لي .. وأنا لا أستطيع أن أواجهه بالحقيقة .. والحقيقة لابد ستظهر .. وأنا لا أعرف ماذا

أعمل . أأنتحر .. أم أهرب من الدنيا كلها .. أم ماذا ؟!

* * *

ذاكر ياحبى .. إن المذاكرة ليست محيقة بالدرجة التى تحصل عليها الانتحار .

إن أكبر خطأ ارتكبته أمك .. أنها بكت .. وقبلت رأسك .. وتوسلت إليك أن تعود إلى دراستك

كان يجب عليها أن تتركك تنفذ تهديدك .. وتعمل . وتتشرد .. وتجوع على الأبواب . وتتعلم الأدب .. وتحس بأن الحياة جد .. وتضيق من الحلس الذى أنت فيه .

إن العلاج الوحيد للولد المدلوعة أن يحس بالمرمطة .

أنت دلوع بدرجة أنك تلجأ إلى صديقًا .. الحقنى .. ياماما الحقنى الحقيقة حاتتعرف .. الحقنى يابابا

لا توجد قوة فى الأرض تحميك من الحقيقة .. إن مشكلتك ليست سنواتك التى ضيعت .. ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حتمًا .. إذا واجهت الدنيا بهذه العقلية ..

هناك مصلحة فى أن تظهر الحقيقة .. وأن تصدم

أنت فى حاجة إلى صدمة .. وقسوة .. وعنف حقيق .. وإلا فاتت مقضى عليك .

لن تصبح رجلا إلا حينما يطردك أبوك إلى الشارع

٢٨

لعنة الجمال

أنا فتاة فى العشرين .. من ذلك النوع الذى تلتفت إليه حين تراه فى الطريق وتتوقف مأخوذًا

شعر يتماوج كالذهب .. وجه أبيض وردى .. عيون زرق .. فم دقيق .. قوام باريسى ..

حينما سرت فى الشارع .. تنحنى الشهقات والتأوهات .. وكانت الرجل وتلتف الأعناق حول نفسها حتى تكاد تنخلع من أكتافها

حياتى كلها كانت كلمة واحدة لاحقتنى من أبى وأمى وعائلتى ومن يعرفونى ومن لا يعرفونى .. إيه الحلاوة دى ياست .. إيه الجمال ده .. إيه السحر ده

لا أحد حاول أن يسمعنى .. لا أحد حاول أن يفهمنى .. كلهم كانوا يتفرجون علىّ ويقلبوننى بين أيديهم كاللعبة

لم أشعر فى أى لحظة أنه ينتظر منى شىء أو يطلب منى شىء .. أو فى بمسة لى عقل ولى قلب مثلما لى وجه وقوام .

كان أبى يصفح أخى حينما ترسب ويلاحقها بالمدرسين ويعيدها بالمدكرة أما أنا فإنه كان يضحك حينما أرسب كأنه قد حدث شىء يتوقعه .. ويربت على كتفى ويقول فى سعادة .. إنتى قمورة .. مدارس إيه ؟! .. إنتى هتقعدى فى البيت زى الملكة والدنيا تجرى وراكى .. والعرسان ييوسوا إيديكى

وحينما كنا نجتمع كلنا ونتحدث .. كان أبى يتناقش مع إخوتى ويدخل فى

معركة كلامية حامية مع كل فرد إلا أنا . وكأنما التفكير كلفة عبر طبيعة بالنسبة له .. وحينما كنت أحاول الكلام كان يردني برقة قائلاً . عاوزة تقولي إيه يا ممكنة ، يا تأمري بس .. إنما الرعي ده للفراشات اللي زينا ..

وفي اللحظات التي كنت أنطق فيها بملاحظة ذكية .. كانت تموت على الذي يستمع إليّ ، لأنه كان منهمكاً في التطلع إلى وجهي وهو ينسى كل شيء .

لم يكن أحد ينظر إليّ بأكثر من أنى زينة .. مجرد زينة .. ليس لها أن تقوم بأي دور جاد

وبدأ يلاحقني شعور بالتفاهة والضياع فلا أحد يشركني في همومه ولا أحد يوكل إليّ بسر يخشى عليه أو بعمل يحرص عليه وإنما أنا بمثابة لحظة التسلية بالنسبة للجميع

وكان طبيعيًا أن أفشل في دراستي وأن أترك المدرسة وأبقى في البيت ثم أتزوج وأنا صغيرة

وكان زوجًا تعيسًا . أتعس ما فيه جمالي .. فزوجي لا يصحبني في خروجي ، لأن حسني صيحة تلفت النظر في كل طريق وهو يسجنني في البيت لأنه يغار عليّ . وهو يشك في سلوكي .. وهو يفقد ثقته بنفسه كلما ازداد إحساساً بحبي ، وبالتالي يشعر بعجزه عن أن يحكمني فيزداد في شكه وغيرته وقسوته ويزداد في إسرافه لكي يرضيني بالملابس الباهرة والجواهر وأزداد أنا إحساساً بالتفاهة وازداد شقاء

حتى بطاقات الدعوة التي كانت تأتينا في أفراح الأصدقاء كان ينظر إليها في شك وريبة وقد خيل إليه أن صديقه يدعوه من أجل أن يراني لا من أجل أن يراه هو

وكان من الطبيعي أن ينتهي مثل هذا الزواج بالفشل والطلاق وانتهى أنا إلى حالة من اليأس لا ينفع فيها علاج

إن جمالي كان لعنة عليّ

إني أتمنى الآن أن أصحو عيني فأجدني قبيحة

إن إحساسي بجمالي أصبح مثل إحساس الغني الذي يظن أن كل من يحبه يحبه من أجل ثروته لا من أجل شخصيته نعم إني أيضًا يخيل إليّ أن لا أحد أحبني لشخصي وإنما جميعهم أحبوا فيّ صورتي وهذا يعذبني ويشعرني بتفاهة شخصيتي ويحرمني من لذة احترامي لنفسي

لقد بدأت أعتقد أنه لا سبيل إلى السعادة أبدًا فالثروة تشقي والجمال يشقي .. والحب يشقي .. والعقل يشقي .. أين السعادة إذن وأين أجدها .. ؟

* * *

السعادة ليست في الجمال ولا في الغنى ولا في الحب ولا في القوة ولا في الصحة .. السعادة في استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء

إن رؤية عقلك وهو عاطل وحماسك بقلبك وهو عاطل ، وإدراكك لشخصيتك وقد عطلها جمالك وغباء الذين عرفوك . هو سبب تعاستك لقد كنت تدركين طوال هذه السنوات أنك تعيشين بسطحك فقط بشكلك ومظهرك

كنت كالمعشوق الذي نسيه الناس وأكلوا القرطاس لأنه ملون جميل

كانت حقيقتك معطلة .. ومواهبك معطلة .. والسعادة هي أن تعيش كل لحظة .. بكل ما فيها ..

ولكني لا أجد ما يدعو إلى اليأس .. فما زلت في العشرين .. في بداية الطريق وحياتك ما زالت حافلة بالفرص وبمكنتك تصحيح ما فات

٢٩

جناية المهنة

منذ صغري وأنا أحلم بأن أكون شيئاً مهماً في الدنيا .. مخترعاً .. أو فناناً أو زعيماً .

وفي مراهقتي أحببت جارتي التي كنت أراها واقفة في النافذة .. وكنا نقف كلانا بالساعات في النافذة ننظر إلى بعض ولا نتكلم .

وأرسلت لها أكثر من مائة خطاب كلها شعر .. وكنت أبكي في فراشي كل ليلة .

ومرت ثلاث سنوات سبهللا .. ومع هذا لم يحدث بيننا شيء .. لم نتكلم ولم نخرج إلى أي مكان .

وحينما عرفت بنبأ خطوبتها وزواجها .. مرضت ولازمت الفراش شهراً كاملاً .

وحينما قمت من فراشي حاولت أن أغرق همومي في هواية الموسيقى .. ودخلت معهد الموسيقى الشرقية لأتعلم الكمان في أوقات فراغي .. ولكني توقفت في منتصف الطريق وأصابني الملل من دراسة النوتة والسولفيج والمقامات .. واكتفيت بالتردد على المعهد كمستمع ومتفرج .

وفرغت من دراستي الجامعية .. وتوظفت .. وتزوجت والدي من بنت عمي .

ولا أستطيع أن أقول إني أحب زوجتي .. ولا أستطيع أن أقول إني

أكرهها .. ولكني دائماً أبحث عن سبب للنكد .. أتعصب مرة من العيوب على سبب تافه .. وأصر مرة أخرى على مطالب بعينها لمجرد الإصرار ولمجرد التحكم وأتطلع مرة ثالثة بهفوة بسيطة فأخاصمها وأعتزل وحدي في غرفتي حزيناً تعساً .. وأحياناً أبكي وحدي في مواجهة هذه التعاسة الوهمية .

وأنا أعمل الآن محاسباً في السكة الحديد .. وأعيش نصف يومي في الأرقام والحسابات والدفاتر .. وقد بدأت هذه الحياة الجافة تؤثر في أعصابي .. وبدأ الجفاف يتسرب من الدفاتر إلى أيامي كلها .. وجفت عواطفي .. وتحولت الدنيا في نظري إلى محاسبات وتبادل منافع .. وماتت أحلامي القديمة .. وماتت أشعاري .

وأنا أتساءل أحياناً في ألم : أيمكن أن تجني المهنة على صاحبها بهذه الدرجة ؟

لماذا أنا تعيس إلى هذا الحد .. ماذا أفعل ؟!

* * *

تساؤلك في الحقيقة مضحك .. ومعناه أن الجزار يمكن أن ينظر إلى الدنيا على أنها جزارة .. وينسى ويقطع ورك زوجته ويعمل منه كستليته ويقول .. أنا تعيس .. ماذا أفعل أيمكن أن تجني على مهنتي إلى هذا الحد .

والمهنة في الواقع لا تمحق العاطفة .. وشعراء المهجر وهم أرق الشعراء عاطفة كانوا كلهم تجار .

ومشكلتك الحقيقية ليست مهنتك ولا زوجتك .. ولا حبك .. مشكلتك هي أحلامك ..

كان حلمك منذ البداية أن تكون شيئًا . أن تكون مخرجًا أو فنانًا أو رعيمًا ولم تستطع أن تحقق هذا الحلم فاكتفيت بأن تخرجه في خيالك قصة حب كانت وهمًا .. اخترعته أنت من طرف واحد . واخترعت كل ما فيه من أحزان ونكبات

وقصة الموسيقى بدأتها بحس الفنان وأنهيتها بخيال المخرج الذى يكتفى بالوقوف في قاعة البروفات يحلم .

وكان لابد في النهاية من أن تخترع لك زعامة وهمية لتحقق بعض أحلامك فدنت تفتعل الأزمات في بيتك لتثير الشغب .. ولتصدر الأوامر .. وتحكم وتتحكم

وفي النهاية اخترعت عذرًا تنسب إليه كل فشلك وهو مهنتك الحقيرة التى سلبتك عظمتك .. وقتلت أشعارك العظيمة في مهدها

وقصتك تذكرني ببطل في إحدى مسرحيات أبسن كان يحلم بأن يكون صيادًا خطيرًا يصيد سباع في الغابة ، وانتهى في النهاية إلى رجل سكير يربي البط في غرفة ، ثم يدخل ليصطاده بالبندقية

والحل الوحيد .. هو أن تواجه حياتك وتفتح عينيك على واقعك

٣٠

حكاية الكرامة

أنا طالب بكلية الآداب . عمري تسعة عشر عامًا . تعرفت بفتاة جميلة جدًا وظريفة ، وصوتها أعذب من صوت شادية

من النظرة الأولى قلت لها .. أحبك . وبيني وبينك قلت هذه لكي أبرز فلاتي .. ولكنها صدمتني بقولها .. أنت كذاب وكلامك فاضي هو الحب كده لعبة في بقك تقوله لكل واحدة وفي هذه اللحظة أحسست أني مجرم وأني أحتاج لأوقع بفتاة بريئة في شباكي وشعرت بفداحة ذنبي ومنذ تلك اللحظة بدأت أحبها بعمق وحقيق .. وبكل جوارحي

ولا أنكر أنه كانت لي علاقات قبلها ولكن كلها علاقات على الماشي حب بالكلام فقط من أجل الوصول إلى لذات مؤقتة وأحيانًا كنت أنتفع من هذه العلاقات كانت إحدى جاراتي تبعث لي بأشهى ما يحضره أبوها من فاكهة وأطيب ما تطهيه أمها من طعام وكنا نقضي معًا أوقاتًا سعيدة ثم أنسى كل شيء بمجرد أن أفارقها ..

أما هذه الفتاة فقد أحببتها حقًا .. واشتغلت بها ليل ونهاري .. وبحثت في أغاني الحب والهيام مكشوفة لتدبه عشانك أنت بكوي بنار ولفح جنتي .. ليلي مراد .. أول لقانا كان هنا . باحلم بيك .. أغاني الحب كلها .

وواعدتها بالجد والمذاكرة حتى أنجح وسروح وصرت أسهر حتى الثالثة صباحًا يوميًا للمذاكرة . وفجأة انقطعت عن مقابلتي . ومرت شهور وأنا على نار

وأرسلت إليها رمية لى فى الكلية ومعها خطاب منى

وعادت الزميلة لتقول إنها ستتزوج .. أبوها مصمم على أن يزوجها من يوزباشى وفى يومها حاولت الانتحار بابتلاع زجاجة إسبرين ولكنهم أنقذونى وزارتنى فى المستشفى وطيبت خاطرى وقالت لى إنى أحطنى كثيرًا بهذه التصرفات ونصحتنى بأن أكون عاقلا فكل ما بيننا لا يزيد على صداقة .. وليس هناك داع لهذا الجنون .

وحينما خرجت من المستشفى تأكدت أنها تحب هذا اليوزباشى وتقابله كل يوم .. وتريده زوجًا لها .. ولا دخل لوالدها فى المسألة .

وشحرت بأنى أنهار وأتحطم ، وأفقد ثقتى بنفسى وأفقد كرامتى .

مزقت صورها لأستريح وأحرقت المنديل الذى أعطته لى وعليه طبع شفتيها ولكنى لم أستطع نسيانها .

وفقدت مرحى وبهجتى . وفقدت القدرة على المذاكرة وعلى النوم وصرت أسرح كثيرًا

كانوا يسموننى مهرج الكلية ولكنى الآن أسير كأنى أسير فى جنازة هذه الفتاة طعنتنى فى كرامتى .. وشخصيتى ..

أفكر أحيانًا فى أن أضربها علقة ساخنة وأضرب اليوزباشى معها وأرسل إلى والدها الخطابات التى أعطتها عندى بخطها ثم أعود فأحس لأنى أحبها حاقد النصبية قلقة .. وأخشى الرسوب هذا العام

أحيانًا أشعر برعدة وقشعريرة وأنا فى فراشى .. من فرط الأرق والقهر .. والعذاب النفسى .

سيدى .. ماذا تسمى مثل تلك الفتاة .. ؟

الفتاة التى تعطى صورها لشاب وتحى له أغانى الحب والهيام وتخرج معه ثم تجيء فى النهاية وتقول له هذه كانت صداقة . وتتركه وتحب رجلاً آخر وتتزوجه

ماذا تسمى هذا ؟!

* * *

وماذا تسمى أنت ما يقوله ولد وعد بدرك جارته ويقول لها أحبك ويأكل الفاكهة التى يشتريها أبوها ويلهف الأطعمة التى تطهيها أمها . ثم يذهب بكل بجاحة إلى فتاة أخرى ليقول لها أحبك . تزوجينى

أنت ولد عبيط وقد أخذت حقك من الأدب على يد صاحبتك وأنت عبيط لأنك تحمل كرامتك وتفتك بنفسك فى مستوى لعب البنات كيا حاسبتك البنت التى تحبها فقدت كرامتك وعزتك وقعدت تعيط وترتعش فى السرير

وإذا كنت ناوى تعقد كرامتك مع كل أحبة من أعمال شدية يبقى مش حاتخلص .

كرامتك حاتستحمل إيه .. وإلا إيه ياابنى .. على مهلك شوية ..

٣١

الغولة

تزوجت في سن مبكرة حينما بدأت أقتحم ميدان العمل . كان هدفي الاستقرار والاستقامة

تزوجت موظفة .. وفي عمر أسبوع دخلنا .. ولم تكن عندي فكرة عنها

ومنذ هذا اليوم وأنا أتعس إنسان في الدنيا .. انهارت آمالي .. لم أكن أتصور أن أتزوج امرأة بهذه الصفات .. امرأة لا هم لها إلا المشاجرة والسباب بألفاظ فاضحة .. وإذا لم تتشاجر معي تشاجرت مع أولادها أو الخدم أو السكان أو أمها أو إخوتها

البيت الذي أثثته بأفخر الرياش حولته إلى اصطبل ينام فيه الذباب

عشت معها أكثر من عشر سنوات كانت حياتي معها عبارة عن سباب بألفاظ تخرج الجنة .. ومشاجرات .. ومحاضر في أقسام .. وتحقيقات في النيابات .. وقضايا في المحاكم !

حاولت إدخالي السجن بعد سنة من زواجي منها .. ذهبت إلى البوليس وادعت أني سرقت مجوهراتها .. وحررت محضرًا ضدي .. ثم أفرجت عني النيابة بعد مبيت ليلة في السجن .. لا يوجد أحد يطيقها

أهلها تبرءوا منها ولم يحاول أحد منهم أن يزورها خوفًا من لسانها ، والموظفون الذين يعملون معها يتحاشونها لسلاطتها

ومع هذا عشت معها وصبرت على قرفها .. لأنها .. وإنصافًا للحقيقة

برغم كل عيوبها .. امرأة شريفة ليست من ذلك النوع الخليع المنحرف من نساء هذه الأيام .. ليست هي الزوجة التي يعيش معها الزوج وعيناه في وسط رأسه

كنت دائمًا وبرغم شراستها .. أعيش في نعمة الاطمئنان على أن عرضي مصون . ولن يطوله أحد .

لم يوجد الرجل الذي استطاع أن ينظر إليها نظرة .. كده .. وكده

وأنت تعلم ماذا تعني هذه الراحة بالنسبة للزوج .. وخصوصًا في هذه الأيام التي يعج بها رجال .. هذه الأيام التي تخرج فيها الزوجات إلى الخياطة والكوافير وطبيب الأسنان .. والأمم مشاوير .. وهاتك يا دوره وسهرة في شقق الرجالة الغرباء .. والزوج الغلبان قاعد في البيت يقرب .. سهايته .. كان من الطبيعي أن أحتملها بكل قرفها .. وطبعها الحاد .. لم أنكس وقدارتها في سبيل راحة بالي

حتى جاء يوم ومرضت مرضًا خطيرًا

ونسيت كل ما سببته لي من آلام .. وفعلت المستحيل من أجل إنقاذها لتعيش لأولادها

ولم أبخل عليها بالمال ولا بالوقت ولا بالراحة ولا بالرعاية

كنت أجوب القاهرة باحثًا عن الأدوية التي تلزمها . وكنت أجوب أسوان لأبحث لها عن دواء نادر .. حتى شفيت .

ولكن طبعها ازداد حدة وعصبية .. وأصبحت تثور لأتفه الأسباب وتطلب مني أن أطلقها .. فأطيب خاطرها وينتهي كل شيء . ثم تعود الثورة لسبب تافه آخر .

وآخر مرة عدت إلى البيت متأخرًا بالليل فوجدت [illegible] معلقًا من

الداخل .. ورفضت أن تفتح لي .. وألقت على موشحاً من النافذة .

وأنا الآن أفكر في الطلاق .. ولكني في نفس الوقت أشعر بالحيرة واليأس .. كيف أعيش وحدي بعد الطلاق .. ماذا أعمل .. هل أتزوج مرة ثانية .. وكيف أضع عرضي وسمعتي بين يدي واحدة من بنات الشارع اللاتي يسرن كالبلياتشو مدهونات بوية .. بنات اليوم .. إياهم .. لأهو بالاسم « روح » وأنا رايح جاي بقرنين .. على رأسي ..

أبو حاتم .. دمياط

* * *

إن زوجتك عندها من العيوب ما يكفي لتطليق عشر زوجات من أزواجهن ..

ولكن المشكلة الحقيقية هي مشكلتك أنت .

انت تشك في البشرية كلها .. وتسيء الظن بدرجة يستحيل معها أن تطمئن إلا إذا تزوجت غولة ..

وهذا هو الذي حدث بالضبط .. لقد تزوجت غولة .. وكانت شراستها ووحشيتها برداً وسلاماً على قلبك .. كانت بركات وحسنات بالنسبة لك .. ومسكنات ومهدئات لداء الشك الذي يأكل عقلك ..

وأنت تخطئ جداً حينما تتصور أن الحياة الزوجية شائنة بهذه الدرجة .. تخلص من عقدتك وتزوج .. وسيبك من حكاية القرون دي ..

أما إذا لم تستطع الخلاص من مشكلتك .. فلا يوجد حل .. استمر في معاشرة الغولة .. أو تزوج غولة أخرى ..

٣٢

ميلاد صناعي

أنا في الأربعين .. أعمل بالصحافة المصرية .. متزوج وعندي عشرة أولاد .. أحب زوجتي وأتفانى في تربية أولادي .. مستقيم .. هوايتي الوحيدة في دنياي هي إنجاب الأطفال ..

تزوجت قبل زوجتي الحالية بفتاة ولم يعمر زواجنا أكثر من عام لعدم الوفاق بيني وبين عائلتها .. فطلقتها .

وتزوجت هي من بعدي برجل آخر وأنجبت منه تسعة أطفال في خلال ١٤ عاماً . كنت سبقتها أنا بالأطفال من زوجتي الحالية

والتقيت بعد هذه الأعوام الطويلة

جمعتنا الظروف مصادفة منذ عامين في مكان .. فأخذنا نتحدث ونحكي .. روت لي ما حدث لها .. ورويت لها ما حدث لي .. وتذكرنا أيام زمان حينما كنا زوجين .. وكيف كنا نختلف لأتفه الأسباب ونتعارك .. وضحكت ونظرت إليّ في طيبة وحنان .. وقالت لي

- هل تعرف بعلان .. أني كنت أحبك .. كنت أحبك جداً .. ولكني كنت عبيطة .. ولم أعرف كيف أحتفظ بك

واعترفت لها بدوري .. كيف كنت أحبها .. ولكن كبريائي كرجل أفسدت على هذا الحب .. وحولت حياتي إلى مشاحنات معها ومع عائلتها .. انتهت بالطلاق

وحكيت له كيف بكيت بعد الطلاق

وبدت عيناه بالدموع وأنا أحكي له قصتي

وعشنا مع بعض ساعة جميلة من الزمن .. وتواعدنا على أن نلتقي مرة أخرى

والتقينا مرة ثانية وثالثة .. ونشأت بيننا صداقة عميقة ما لبثت أن تسللت إلى قلوبنا وانقلبت حبًّا جارفًا

أيقظت عواطفي وكأني لم أر النساء طول عمري

وكنا كلانا ندرك العواقب فحرصنا على ألا يشعر بنا أحد

في قرية زوجها يعمل بإحدى الدول العربية أخبرتها بكل شيء فقالت لي إن شقتي تحت أمرك في أي وقت فعلا التقيت بها وذهبنا إلى قريبتي فرحبت بنا وأعطتنا الحرية التامة

وأصبح ترددنا على هذه القريبة شيئًا عاديًّا .. ومواعيد منتظمة نرسمها معًا وبحرص شديد

زادت مقابلاتنا وبرغم كثرة هذه المقابلات فإني أقسم لك أننا لم نفعل شيئًا

كنا نقضي الوقت في الحديث .. ونتعانق .. ونتبادل القبل ولا شيء أكثر من هذا

ومع هذا فقد بدأت أحس بعذاب ضميري أشعر أنها تسرق هذا الوقت الذي تقضيه في الحب من أولادها ومن بيتها .

قررت أن أضغط على نفسي وأبتعد عنها .. وكتبت لها أقول : إننا غافلان نخوض في حب يملكه غيرنا . حب مسروق .. حب بلا هدف . وبلا نهاية .

عودي إلى زوجك .. وليجمع الله بينكما في الخير . وتذكريني . فهذا يكفيني . وسوف أذكرك طول عمري .

وبرغم بعدي عنها .. فأنا أعيش في عذاب .. وأحبها معي في كل لحظة . وأفكر في مواصلة ما كنا عليه .. ثم أعود فأتردد .

والله وحده يعلم ما يكنه قلبي من الحب

قل لي بربك ماذا أفعل ؟..

• • •

هذا حب غريب في نشأته وظروفه

وأعتقد أنكما صنعتما هذا الحب صناعة ..

لقاؤكما بعد ١٤ عامًا بعد أن أصبح كل منكما ربًّا لعشرة عيال يحرجر وراءه حياة مملة متعبة ليست فيها شاعرية ولا أحلام هذا الملل وهذه الحياة الجافة المملة هي التي دفعتكما إلى صناعة لعبة تلهوان بها لعبة اسمها الحب تسعدان بها ما بقي من أيامكما

ميلاد هذا الحب ميلاد صناعي .. وليس ميلادًا طبيعيًّا

وقد دخلتما فيه كما تدخلان سينما .

ونشأت المشكلة من التعود

وأعتقد أنه قد جاء الوقت لتفيقا أنتما الاثنان على هذا الوهم الذي تعيشان فيه وتعودا إلى الواقع

٣٣

ملاك أزرق

أنا شاب خجول .. وربما يكون هذا عيبًا كبيرًا .. ولكني لا أستطيع أن أتلافاه .. فقد تعلمت به ما يقرب من عشرين عامًا عشتها في كنف أسرة أحاطت نفسها بسياج من التقاليد القديمة وجعلتها دستورًا لها.

أعمل في إحدى الشركات بالإسكندرية .. وهي زميلة لي بالعمل، توطدت بيننا صلة الزمالة إلى أن تدرجت من ناحيتي إلى حب جارف ملأ كل قلبي.

وحاولت أن أصارحها بحبي .. ولكني كنت أعجز عن النطق عندما أرى عينيها أو أسمع صوتها .. فكتمت حبي في قلبي وانتظرت الفرصة المناسبة.

وكان معي في العمل زميل آخر .. رجل في الثلاثين متزوج وله ولدان وزوجته تعمل معنا في الشركة .. وتوطدت صلتي بها وخصوصًا لأني سكنت بجوارهما .. وأصبحت لا أفارقهما من الصباح إلى المساء.

وخطر لي أن أشرح لصديقي ما أنا فيه ربما يكون عنده حل .. وأفهمته شعوري وطلبت منه المساعدة .. فوعدني أن يساعدني بشرط ألا أستعجل حتى لا أفشل .. وبشرط أن أتزوجها .. فحسبت له أني لا أهدف من هذه العلاقة سوى الزواج .. لست بالرجل الذي يلهو بعواطف الشابات البريئات.

وبالفعل ساعدني .. فخرجنا معًا لأول مرة أنا وهو وزوجته وفتاتي .. ذهبنا إلى السينما وإلى منزله مرات كثيرة .. وفتحت زوجته قلبها لفتاتي واعتبرتها أختًا

لدرجة أنها كانت تنام في بعض الأحيان بجوارها وإلى جانبهما زوجها على نفس السرير .. وكثيرًا ماتركتهما وذهبت لإسكات الطفل.

كانت إنسانة ذات قلب طيب رقيق .. وكانت تثق في زوجها ثقة عمياء فقد تزوجت به عن حب صادق متبادل بين الطرفين.

وتعددت مقابلاتنا .. وكنا في كل مرة نقترب من بعض أكثر .. وكنت دائمًا مع صاحبتي في منتهى الأدب بالرغم من محاولتها إثارتي لأقبلها أكثر من مرة ولكني كنت أجبن في اللحظة التي تقترب شفتيها مني.

وكنت أخشى أن أدنس حبي.

وكان دائمًا يدهشني منها أنها كثيرة الهزار مع صديقي .. حتى أمام زوجته هزار مشين في نظري .. وليس صديقي وحده .. وإنما كل الزملاء في المكتب بدرجة جعلتني أنفر منها .. وأعاتبها .. وأنصحها .. وبدون فائدة ..

وتصورت أنها كانت تقصد من هذا إثارة غيرتي .. أو أن هذا الهزار هو الأسلوب الأمثل للحياة.

وفي يوم شاءت الظروف أن نتأخر أنا وهي وصديقي وزوجته في الشركة بسبب كثرة العمل .. يومها تحدثت معها حديثًا حلوًا .. وصارحتها بحبي وكانت لحظات من أجمل لحظات حياتي.

ثم حدث أن خرج صاحبي .. وغاب بعض الوقت وطلبها .. فذهبت إلى مكتبه وعادت .. فذهبت حاملًا بعض الأوراق .. وفتحت باب المكتب لأفاجأ برؤيتها بين ذراعيه غائبة في قبلة طويلة.

وكانت صدمة عنيفة أفقدتني رشدي فجريت إلى مكتبي وارتميت عليه وأخذت أبكي

ودخل صديق .. وحاول أن يعتذر .. ثم جاءت هي بوجه نالت منه كل معانى الخجل .. حدثت وكأن شيئاً لم يحدث .. ولكنى طردتها بقسوة

كان من الواضح أنها كانا يتحديانى ستاراً لإخفاء علاقتهما الفاضحة عن أعين الزوجة .. وأنى كنت مغفلا طول الوقت

وكرهت نفسى .. وكرهت حياتى ..

ومرت أيام ذقت فيها أقسى ألوان العذاب .. وفكرت فى تقديم استقالتى من الشركة لأبعد عن هذا الجو الفاضح .. ولكنى فقدت القدرة على اتخاذ أى قرار .. لقد ذهبت ضحيتها

أنقذنى ..

• • •

أنت لم تذهب ضحيتها .. لقد ذهبت ضحية خيالك وأفكارك

أنت المذنب من البداية

إن صاحبتك لم تحاول أن تبدو فى أى وقت على غير حقيقتها .. لم تحاول أن تخدعك

لقد أظهرتك على حقيقتها عن العموم فى حالة هزار مشين مع كل موظفى المكتب .. وهى تنام مع صاحبتك وزوجته على فراش واحد .. وهى تحاول أن تحرك شهيتك بل تقبيلها .. وأنت تخشى أن تدنس حبك .. ياسلام

وأنت فى حالة خيال مستمر .. أنت مصر على أن تلبسها دوراً غير دورها

أنت مصر على أن تعاملها كملاك .. تحبها كملاك .. ملاك إيه يابنى .. دى ملاك أزرق

والآخر تقول لى صدمة .. صدمة إيه ؟.. هى الصدمة دى .. ده جهة صعبة جداً وظاهره مسطحة ومتوقعة .. واصبح أن المكتب كله بيوسها .. مش صاحبك بس

هى الصدمة هنا

أنت أصلك مخبوط فى عقلك

أنت المذنب .. لقد كنت طول الوقت تصعدها وتعدلها بصفات ليست بها .. إنها مخطئة فى حق نفسها صحيح .. ولكنها بريئة من دمك

امسح دموعك .. وقوم روح شغلك .. وتانى مرة ماتحاولش تعرض حبك على الناس

٣٤

البكاء لن ينفع

في ١٩ يونيو ١٩٥٨ كنت قد انتهيت من امتحاني في الجامعة .. وكنت أسكن عشتي في غرفة العش التقليدي لكل طالب سرير ومكتب وكرسي ودولاب صغير وفي جيبي مفتاح أعطاه لي أحد أصدقائي لأقيم بشقته طيلة عطلة الصيفية

ودخلت البيت ليلا حتى لا يراني الجيران مع عشتي الحقير. وكان من عادتي أن أقوم بكل نواحي البيتية بنفسي أغسل وأكنس وأمسح وأنظف الأطباق بالليل . وفي النهار أقوم بالطبخ

وفي إحدى الليالي وكنت راجعًا حوالي الثانية عشرة سمعت صوت بكاء ونشيج في الشقة المجاورة ثم فتح الباب وخرجت منه سيدة ..تجاوزت الثلاثين من عمرها ، ممتلئة الجسم قليلا ، طويلة بيضاء متوسطة الجمال مثيرة الأنوثة (عرفت بعد ذلك أنها مطلقة منذ أكثر من ثلاث سنوات) ونظرت إليّ في استنجاد وانفجرت تبكي .. فقلت لها في خجل وخوف .. مالك .. قالت والدتي خرجت من الصبح وماجتش لدلوقت .. وهي واحدة ست كبيرة وخايفة يكون جرى لها حاجة فاقترحت عليها أن تتصل بأقاربها علها تكون هناك .. فأعجبتها الفكرة وأبديت استعدادي لمصاحبتها . ورحنا نلف على بيوت الأقارب واحدًا بعد آخر حتى وجدناها بخير .. ورجعنا في وقت متأخر في سيارة أجرة

وفي اليوم التالي جاءت أمها وبقيه العائلة تشكرني . فتعرفت عليهم وتبادل الشاي في طهاره وحسن نية .. ولم أشعر أكثر من أنهم جيران طيبون

وبعد شهرين ذهبت في رحلة إلى معسكر صيفي في الإسكندرية وغبت عشرين يومًا .. ثم رجعت فقابلتني السيدة في حرارة ودخلت حتى في الشقة وهي تسألني عن الرحلة وعن الإسكندرية في لهفة وحنين وفي عينيها بريق غريب وهي ترتعد .. وانتهى المشهد بأن خطفت مني قبلة وجرت بعدها إلى شقتها

وتعاقبت الأيام والشهور وتطورت القبلة الخاطفة إلى قبلة طويلة . ثم إلى عناق أطول ثم إلى المصير المحتوم الذى تؤدى إليه خلوة امرأة مطلقة وشاب في العشرين رياضي ومكتمل الجسم

وتكررت المسرحية لمدة أكثر من سنة وعرف الجيران وعرف أهلها بعلاقاتنا

وسافرت في العطلة الصيفية لعام ٥٨ - ٥٩ وكنت أتلقى منها رسائل ملتهبة أرد عليها برفق وتعقل

وعدت من البلد لتقابلني بحب أكثر ولهفة أكثر ولتحكي لي ما حدث مع أهلها وكيف أنهم عرضوا عليها الزواج من رجل غني وكيف رفضت وأصرت على الرفض وبكت واشتكت وتشاجرت مع أهلها وهجرتهم وهجروها .. وعرضت على الزواج .. كانت مفاجأة بالنسبة لي .. ارتبكت .. ثم رفضت بحجة أني فقير.. وبأني مازلت طالبًا لم أكمل تعليمي . وصغير السن . أصغر منها بعشر سنوات .. فقالت وماله عندي ثروة تكفيني وتكفيك وسأضع كل مالي بين يديك وأساعدك في تعليمك وأخدمك

أكثر من حمامة .. وقلب لها .. إن هناك أهلي . وهم لا يوافقون على زواجي . فقالت لا يهم أي شيء مادمت أحبك وتحبني .. ولكني رفضت بشدة .. وانتهى الموضوع ليتجدد بعد ذلك كل يوم ومعه بكاء وصراخ وقبلات على يدي ورجلي والأرض التي أمشي عليها .. وأحبك .. وأعبدك مقدرش أعيش من غيرك

وفي إحدى الليالي طرق الباب بعنف وفتحت لأراها أمامي متورمة العينين من البكاء . وارتمت على صدري تصرخ وتولول . إن أهلها جلبوا لها عريساً آخر وهم يضغطون عليها لتتزوج منه . وهي لا تريد لأنها لا تحبه ولأنه أكبر منها بعشر سنوات . وكنت رفضتها معها عدة مرة ولم أشأ أن أقول لها إنها هي الأخرى أكبر مني بعشر سنوات

وراحت تقبلني وتقول لي أنقذني . تزوجني ولو ليوم واحد . لأسكت أهلي وأريهم بعقد فيبعدو عني . هو فقتها لا أدري كيف . ربما كانت طيبة مني وضعفاً من محدم تعرفه . وكتبنا العقد

وكان عقداً عرفياً نظراً لاختلاف ديانات فهي مسيحية وأنا مسلم . ووجمنا في البيت .

واستمرت علاقتنا كما هي .. نلتقي بالليل فقط .. وأنا في شقتي وهي في شقتها

وكنت محافظاً على مسلكي طوال أحاول أن أستعمل حبها وكرمها وعطاها . حتى مسلكي كنت أرفض أن ينفعها . وتعتذر بالمرض حبها تعد نقودي وكانت هي تغار على حتى من خادمتها التي لم تتجاوز العاشرة

واليوم وقد أكملت تعليمي وأخذت الشهادة وأصبحت أتطلع للمستقبل

ولسانه حائق . حاولت أن أفاتحها في الموضوع لإنهائه ولكنها تشنجت وبكت واشتكت

لي صدها خطابات وصور . والعقد العرفي إياه وهي متشبثة بهذه الأوراق كأنها متمسكة بي وتهددني بأنها ستحرق وستكتب لي سبب انتحارها ورفضها

وأنا لا أريد أن أكون مجرماً . ولا أريد أن أكون بقلب حيوان . ولا أريد أن أثقل ضميري بأعباء لا يطيقها

ولا أريد أن أكون في نفس الوقت رجلاً عبيطاً تضحك عليه امرأة . وهذا أشركك في مشكلتي وأطلب رأيك ..

* * *

إنك لم تترك لي رأياً في الواقع . فإن سياق خطابك يشير إلى حقيقة واحدة باستمرار . أنك لم تحبها في أي يوم من الأيام . هي التي اقتحمت شقتك وخطفت منك قبلة . وهي التي كتبت إليك رسائل ملتهبة . وهي التي عرضت عليك الزواج وهي التي قدمت تدمك لتحصل على عقد زواج ولو لمدة يوم هي .. هي .. دائماً وأنت ساكت تعطيها قلبك لتفقده .. وترد على خطاباتها برفق .. وتعقد عليها عرفياً من باب الشفقة ..

واضح جداً أنك قد كونت رأيك من البداية . ولست في انتظار رأيي فأنت قد اعتبرتها مجد خانة .. هذه الشفقة .. وخلاص ..

والزواج بالعربي ليس بالعاطفة . والحب لا يمكن إثارته بالإشفاق والتهديد بالانتحار .

أظن أنها ستفهم ثمن عروضها الرخيصة .. ولن يجديها انتحار أو صراخ أو بكاء .. فأنت قد كونت رأيك من زمان

٣٥

البحث عن مقياس

أنا فتاة في العشرين .. أشتغل عاملة في شركة . لي أسلوب في حياتي احترمته واقتنعت به ومشيت عليه طول حياتي .. هو أن ألتزم في علاقاتي مع زملائي الأدب والاحترام فأكون صديقة لكل دون أن أكون حبيبة لأحد . واحتفظ بعواطفي لنفسي لا أبتذلها وأعرضها سهولة أمام من يسوى والى مايسواش كانت طريقتي ألا أفتح قلبي إلا للرجل الذي يتزوجني . وأبتعد عن اللف والخرى .

وكان رأيي في غراميات البنات زميلاتي .. أنها ليست غراميات في الحقيقة . وإنما هي مرمطة .

وكان سلوكي هذا يثير السخرية من الجميع .. البنات والرجال على سواء . البنات يقلن عني شمحة . والرجال يقولون عني رجعية .. ريفية .. صدعة عيب .. أبيطة .. وعلى إيه ده كله

ولكنهم مع هذا كانوا يحترمونني ويحسبون لي ألف حساب .. وكان أخي يوافقني على رأيي .. ويعيش في حياته الخاصة كما أعيش أنا في حياتي .. وكان هذا يعطيني القوة لأمضي في طريقي

ثم حدث شيء

أحب أخي جارتنا .. وهي فتاة معروفة بسوء السمعة . وهو نفسه يعلم بسوء سمعتها وسوء أخلاقها . وكان يحكى لي أنه رآها تمشي مع فلان على أنه

خطيبها .. ثم تستبدل به اليوم التالي وحلا آخر تقول أيضًا إنه خطيبها

ثم يحكى لي أنه رآها تهرب عشيقها من النافذة لأن أخاها دق جرس الباب . ويقول إنها فتاة سيئة الخلق .. وإن آخرتها حانكون زي الزفت

وهذه الفتاة هي التي أحبها .. وتدله في حبها .. ثم فعل ماهو أدهى وأمر . تقدم للزواج منها

وحينما صرخت في وجهه وقلت له كيف تتزوج فتاة أنت نفسك تعلم أنها سيئة ومشيت مع عشرة غيرك .. أجابني في برود .. أنه قد اكتشف أن البنت التي لها ماض أفضل بكثير من التي لها مستقبل

وأنها أحسن من البنت التي ليست لها تجارب ..

وانهارت مثالياتي كلها دفعة واحدة ..

ماذا جرى لعقولكم يارجال كيف تهون عندكم العفة إلى هذه الدرجة وماذا نفعل حينما نسمع مثل هذا الكلام

حينما نرى أن الابتذال هو الطريق الذي يوصل إلى الزواج . والاحترام والعفة والأدب والأخلاق هي الطريق المسدود الذي لا يوصل إلى شيء حاجة تحير

هل كل الرجال يقولون هذا الكلام

ماذا نفعل لنربح ونستريح .. وقولوا لنا لنعرف يومًا من غرنا .

* * *

مشكلة هذا الجيل أن كل واحد فيه يفكر على طريقته

فالمقياس الواحد العام المتفق عليه ذاب وتفتت إلى عدة مقاييس

هناك الرجل الذي يبحث عن ست زمان ست البيت التي لا تخرج في الشارع ولا يعرى صدرها .. ومقياس الصلاحية عنده أن يكون الست وحده .

وهناك الرجل الذي تعجبه البنت التي تحمل شهادة وتخرج وتعمل

وهناك الرجل الذي تعجبه البنت الدلوعة ولا يهمه إن كانت خسرانة أو مش خسرانة

وتحضر كل خطر أن يعثر كل واحد إلى الآخر ويفقده في دوامة إن تعرى أنت من أحببت ويسقط في ذلك من الحيرة وتشكي في نفسك وفي سلوكك . وتعرى في البنت الخسرانة . وتحاولي أن تقلديها في خسرها لتتزوجي .. وأنت غير مقتنعة بأسلوبها وأنت تخطريها في نفسك وتكون النتيجة هي الفشل المؤكد في الزواج وفي الحب .. على السواء لأنك عشت في لون غير لونك

لا تقولي ماذا يريده الرجال منا نحن النساء .. وإنما قولي لنفسك .. ماذا أريد أنا .

إن الرجال ألف لون ولون .. كل رجل له طلب . وله حلم .. وله نموذج يحلم به غير النموذج الذي يحلم به الرجل الآخر الحين مملكك ليس له راية مذهبية واحدة

وإذا حاولت إرضاء كل الرجال . فسوف تعيشين كالحرباء .. كل يوم بلون .. وتخسرين نفسك دون أن تكسبي رجلاً واحداً

حاولي أن تحققي في نفسك أنت ما تريدين

كوني مقتنعة بالعفة والأدب . عيشي عفيفة مؤدبة وستجدين رجلك الذي

يتعالى في حبك . ويجد فيك أنت نموذجه الذي يحلم به

حذار أن تنظري حولك إلى ما تفعل البنات وإلى ما تقوله الرجال وإلا فسيكون سقوطك مضاعفاً .. سقوط في نظر الناس .. وسقوط في نظر نفسك وهذه هي الكارثة

إن أخاك واحد من الرجال .. والرجال ليسوا كلهم كأخيك أبداً .. إن كل واحد فيهم يقول كلاماً غير الآخر ولا داعي للنفس فمازالت العفة هي الحلم العزيز لأغلب الرجال . ومازالت الدنيا بخير

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٣٦

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة .. تعليمي متوسط .. بدأت حياتي من سن السادسة عشرة شدت الظروف أن أشتغل ممرضة بأحد المستشفيات وكنت في تلك السن زهرة يانعة جميلة تتدفق بالمرح والحياة والنشاط

وأحببت عملي برغم ما لاحظت من احتقار الناس لهذا العمل النبيل والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا ويبخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبي في مقابل عمرنا الذي نبذله مجاناً للمرضى

وكان هذا النكران والهوان والاحتقار الذي أحس به في كل مكان أثره في نفسي . فبدأت أفقد ثقتي بالمثل والأخلاق وبدأت أقول لنفسي إذا كان هذا رأي الناس في الممرضة أنها فتاة خبيثة تمشي على كيفها فلماذا أعذب نفسي بالحرمان وأضيع عمري خلف تقدير لن أحصل عليه ولماذا أجري خلف الشرف .. والشرف يتبرأ مني

وبدأت أسهر وأستمتع بكل لحظة في حياتي حتى أصبحت في يوم وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمري ولم أعثر بعد على حب عظيم أعتز به .. أو رجل نبيل أطمئن إليه

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين .. يدفعون الحنان ليحصلوا على المتعة بأي ثمن . ثم لا شيء بعد هذا .. كل حياتهم يتسحر غش .. ومسعالة واحتلال .. وكذب . في كل مكان .. وكل رجل

ورجعت بذاكرتي إلى الوراء .. وبدمت حيث لا ينفع الندم ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل .. وكل لحظة انحدرت فيها نفسي من أجل لذة . أي لذة .. ورجل . أي رجل

ولكن المشكلة الآن أن الإنسان يكبر وفرص الزواج تقل يوماً بعد يوم وأنا تعودت أن يكون معي رجل .. وأشعر أني عاجزة أن أرجع كما كنت زمان .. وأستغني عن هذه الحكاية

وكلما فكرت في المستقبل اسودت الدنيا في وجهي ورحت أبكي وأمزق شعري في حرقة ومرارة

والآن أتوسل إليك .. ساعدني في حيرتي .. ماذا أفعل .. لأجد رجلاً يحبني ويتزوجني :

• • •

إن السحر الذي يستعبد الرجل ويجلب له ويجعله يطلع يجري على المأذون ليتزوج هو عقل المرأة عقلها أولاً وعقلها ثانياً وعقلها ثالثاً وبعد ذلك جمالها وعلومها وحبها .. إلخ .. إلخ ..

وهذا طبيعي لأن العقل هو أهم شيء في الزواج وأهم ضمان في نجاح الزواج لأن الإخلاص عقل والوفاء عقل والقدم بمسئولية البيت عقل وتربية الأطفال عقل وتدبير ميزانية البيت عقل ورعاية الرجل في مرضه وفي فشله وفي إفلاسه عقل .. وكذلك المظهر المحترم أمام الناس عقل عظمة الزواج كلها عقل في عقل ..

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته وتتنازل عن بعض نفسها لتقاسم

خدة مع خطيبها الذى تنازل أيضًا عن طيشه وعبثه الفارغة الرابعة المعش .

ومهما كانت امرأة جميلة وجذابة وفاتنة .. فهذا لا يكفى ليغرى الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلا

وأنا ذهبت أبعد من هذا

أن أحب حتى بإخلاص مع الفتاة الساذجة التى تسعى إلى طيش وترقص من رجل إلى رجل . مهما كانت جميلة وساحرة . لأنى أشعر أنى أتذوق صحنى فى مائدة يتذوق منها الكل باستمرار .. وأنى أفوز بشىء لا قيمة له إطلاقًا

والمرأة حتى ولو كانت ... لا تفوز باهتمام الرجل إلا إذا شعر بقيمتها وعلوها

ومعنى هذا أن العقل مطلوب لدوام أى علاقة حتى لو كانت العلاقة علاقة فى هلس

وسيصبح لك ... أن تبدى كل عقلك وذكائك . وإذا استطعت أن تقنعى رجلا واحدًا بأنك إنسانة ذكية وعاقلة . وأنك يمكن أن تكونى محل ثقة فإنك ستتزوجين قبل مضى هذا العام

تمنياتى لطيفة ولا تنسيى بطلة القلب

٣٧

الناس والظروف

بدأت حياتى فى سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أنى رجل مسئول وأن على أن أساهم فى الكفاح من أجل بلدى .. ويومها انضممت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات فى المدرسة الثانوية التى أتعلم بها . وكنت حين ذاك طالبًا فى السنة الثالثة .

وكما يحدث دائمًا فى مثل هذه الأمور .. كانت النتيجة هى الغرور والإحساس بالعظمة والأهمية

وبدأت أعامل نفسى على أنى رجل مهم . وأنظر إلى نفسى على أنى زعيم .. وصاحب رسالة .. ولا يهم أن أرسب فى الجغرافيا والكيمياء .. فالزعماء ليسوا فى حاجة إلى كيمياء ..

ورسبت أكثر من سنة فى دراستى الثانوية .. وقضيت سنوات الدراسة دوبل

وكان يحدث فى أثناء موجات الاعتقال .. أن أتوقف عن نشاطى السياسى وأبدأ فى شغل فراغى بالاستغراق فى شرب الخمر والعلاقات النسائية وكلهن سوء بمخترعات للطمع وكانت أمثاله تنمو فى جزءًا من الزعامة والباشوية التى أسعى للحصول عليها فهكذا يفعل الباشوات أيضًا يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء فى أوقات الفراغ من الزعامة

ودخلت كلية الحقوق .. وتخرجت محاميًا . وفتحت مكتبًا فى القاهرة تحت

فيه كثيرًا . ولم أكسب مليمًا وفكرت في العودة إلى بلدي لأمارس مهنتي

وكان حظي في البلد أحسن من حظي في القاهرة بكثير . وتحسنت وكثرت الفلوس في يدي .. وانهالت القضايا على المكتب

وكنت في هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين . وكان المكتب على كثرة شغله يترك لي نصف يوم فراغًا لا أعرف كيف أملؤه

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة للعب القمار أو نسكر . أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا من النسوة المحترفات وحيث نقضي ليلتنا الحمراء حتى الصباح ..

وكنت قد نسيت أحلام الزعامة .. والباشوية .. والسياسة العليا واكتفيت بملذات هذا الواقع الرخيص .. أغرق فيه كلما وجدت لحظة فراغ .

ولكني في نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه الملذات وأصبحت لا أشعر بسعادة في هذا اللون المراهق من الاستهتار كنت في الحقيقة قد كبرت على عاداتي القديمة وفي أغلب الحالات التي كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة المحترفات كنت أحرك لهن العطاء آخر الليل دون أن أفكر في أن أنال منهن شيئًا

كنت أشعر أنهن نساء بائسات .. وأني أنا أيضًا رجل بائس مثلهن

وفي هذه المرحلة الحرجة من حياتي .. قابلتها لأول مرة .. في بيت من هذه البيوت المشبوهة .. وكانت حاملا في شهرها الثالث

فتاة في العشرين ذهبية الشعر . جميلة .. جمالها هادئ طيب بريء حزين لا تتكلم إلا قليلا وتعيش في وسطها الردىء . وكأنها لا تنتمي إليه

وقضيت معها ليلتي .. وتعدد لقاؤنا . مرة . ومرات .. وعرفت أنها تعول

أمًّا مريضة مشلولة . وأخوات صغيرات في المدارس وأنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدورًا ..

وتعرفت على أمها وأخواتها

وحدث في هذه الأثناء أن جرحت في حادثة تصادم واحتجت إلى عملية نقل دم . ومثل هذه العملية في قريتنا تحتاج إلى يومين فالقرية تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر .. ويطلب عربة إسعاف لحمل الدم حتى لا يتلف . وإلى أن يحضر الدم يكون الجريح في العادة قد شبع موتا .

والذي حدث في تلك الليلة أن فتحت عيني فوجدتها جالسة إلى جواري وعرفت أنها تبرعت بلتر من دمها .. من أجلي .

وهكذا توطدت علاقتنا وبدأت تكشف لي الأيام عن روحها العفيفة الشفافة ونفسها التواقة إلى حياة العفة .. وكانت تقول لي دائمًا إني أشعر أني نحوك أعجز من الهوان إن حبك هو عذري الوحيد الذي أتعلل به لأحترم نفسي .. أنا بدونك إنسانة ميتة .. إنسانة ساقطة تمامًا ..

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين وأملا يروحين الصالحين الوحيدتين ..

واستطعت أن أحس بومضة الشرف في روحها وتطلعها البائس إلى حياة نظيفة فيها حب وسلام ومعنى . واستطعت أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذي يجرر خلفه ظروفًا قاسية لا قدرة لها على مقاومتها .

وأحسست أني أفهم عذابها . فأنا أيضًا رجل فاسد أجرر خلفي حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء وأنا مثلها أتطلع بروحي إلى حياة فيها معنى وفيها حب

وشعرت أن بيننا رباطاً لا فكاك منه ..

وصارحتهم برغبتي في الزواج منها . فرفضت بشدة وبكت وقالت إنها لا تعرف أي شيء إلى عمقي . وأن كل ما تطلبه من الدنيا هو أن أحبها

أصدقائي كلهم ضد فكرة زواجي بها ويستبعدون على مومس أن تحب وتتوب وتكون زوجة فاضلة .. ولكني مُصر على الزواج بها

ما رأيك ؟

* * *

الحب الحقيقي الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف لها وجه الحياة الشريف الجميل النقي .. تماماً كما ينتشل الرجل من فساده واستهتاره

وأنا لا أستبعد عن مومس أن يردها الحب إلى مشاعرها الإنسانية النبيلة

ورأيي أن الزواج مسألة شخصية جداً .

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك وحياتك ملك لك وحدك ..

٣٨

تلفيق الحب

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمري في الثانوية العامة فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره في حياتي .. وهذه هي مشكلتي !

كثيرات من بنات جنسي يروين لي مغامراتهن مع أحبائهن .. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنينه وأجلس أنصت لهن ويدي على خدي ودموعي في عيني ويسألنني في النهاية عن قصة حبي فلا أجد شيئاً أقوله فليست لي مغامرات وليس لي عشاق ولا محبون

سألت مرة والدي عن معنى كلمة الحب فقال لي إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جداً .

وسهرت ليالي كثيرة أفكر في كلامه وأسأل نفسي هل أنا بلا قلب وبلا إحساس .. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور ؟

واخترت شاباً طيباً يسكن بجواري . صغيراً جداً في السن . وبدأت أقول لزميلاتي إني أحب هذا الشاب وأوهم نفسي أني أحبه فعلاً لأثبت لنفسي أني فتاة ذات قلب يمتلئ بالشعور والإحساس . وأني فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها ..

ولكن صاحباتي يقلن عني إني ساذجة جداً وإني لن أنجح في الحياة . هذا مع العلم أني دائماً من الأوائل في مدرستي

أظن أنك تضحك الآن .. وتقول عني فتاة مراهقة . لا .. أنا لست

مراهقة .. أن بت ناضجة .. ولكن كل ما في الأمر أني لم أحب ولم أجرب الحب مطلقاً .. ولهذا أشعر بنقص شديد .. وضيق .. وعذاب .. حينما تقول عني صاحباتي .. إني ساذجة

هل تتصور أني عندما أدخل فيلماً في إحدى دور العرض ويكون فيلماً غرامياً مثيراً .. وأرى مناظر الحب والغرام .. أشعر بالبكاء .. وأشعر بغصة الدموع في حلقي .. وتنتابني طول عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص .. النقص لأني لم أحب .. ولا أعرف ما هو الحب كما تعرفه زميلاتي وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخي .. الحب .. الحب .. وتظل الكلمة تطاردني .. وتأكل مخي .. بلا نهاية .. ماذا أفعل ؟

* * *

أولا أحب أن أقول لك إن هذه السن .. سن السابعة عشرة هي سن العشر والأوهام والخيالات .. ومعظم الحكايات التي تحكيها لك صاحباتك عشر في عشر .. فالبنات والأولاد يبدأ لهم في هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها ومغامرات لا أصل لها .. ثم يحكونها لبعض على أنها مآسي .. ودراميات حب عنيفة حرتها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى .. وسهر الليالي .. وكل مأساة من هذه المآسي لا تزيد في أصلها عن قصتك أنت وجارك .. قصة لا معنى لها .. يصنع منها الخيال قصة وكارثة من كوارث الهوى الحراق ويروح كل واحد يقنع نفسه .. ويقنع أصحابه بأنها حقيقة .. وأحياناً يصدق نفسه ويبكي فعلا

أما الحب الحقيقي فهو في نظري شعور ناضج عميق .. وهو لا يمكن أن يواتي الرجل أو المرأة قبل العشرين .. لأنه يحتاج إلى درجة كبيرة من النمو العقلي

ومن اكتمال الخبرة

الحب ليس بالشعور الذي نطلبه ونجري وراءه لمجرد التقليد .. ولمجرد أننا سمعنا أن فلاناً أحب .. فنأخذ دمنا في أسناننا ونطير على أول جار واقف في الشباك .. ونروح نقول فيه حب .. ده كلام فارغ ودي هي المراهقة فعلا

الحب شعور تلقائي يغزو القلب من تلقاء نفسه .. بدون استدعاء .. وبدون أن نرسل له التماساً

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حباً .. إنه مصوب .. نزوة شهوة .. أي شيء إلا أن يكون حباً

اشكري ربك على أنك لم تتورطي في هذه الحماقات .. وتأكدي أنك لست قصة .. وإنما أنت عاقلة .. لا تستعجل نصيبك .. ولا تنصت لأكاذيب زميلاتك

اتركي قلبك على سجيته .. وتأكدي أن الحب سيطرق بابك في حينه .

٣٩

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد .

والمعروف إنى كنت أتجرأ وأشتم كل النساء .. فأنا وصلت إلى حالة عصبية فقدت فيها عقلى .. واتزانى .. وصحابى .. وأدبى .. وأخلاقى . واسمعوا حكايتى

منذ ثلاث سنوات .. فكرت فى أن أتزوج .. وأكمل نصف دينى .. وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس وينظر بعينيه باليمين وبالشمال .. كان أملى الوحيد هو أن أتزوج امرأة جميلة

وشكرًا لظروف الطيبة .. فقد وجدت هذه الجميلة ..

وأى جمال !!

جمال صارخ

بشرة بيضاء بلورية .. خود بنى ملفوف ممشوق .. شعر ذهبى يرقص ويتمخطر على الكتفين .. عيون واسعة كعيون الغزلان .. فم أحمر متوهج مثل حبة الكرز .. ساقان مثل السيقان التى تزين إعلانات جوارب النيلون .. يدان ناعمتان مثل يدى الجيوكندا ..

جمال صارخ .. بكل معنى كلمة صارخ

وفرحت .. وقفزت من الفرح . ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب . وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد . وبدأت أيام العسل

وبدأت المتاعب .. والتلطيشات . وعمرات العرق من كل جانب

ويا حلاوته اللى ماشى على قشر بيض . أحب السمك الوعاش .. ماهى انت .. ماقشطة .. يالوز .. ياجوز . يامكسرات .. يا كريم شانتيه

وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون فى شقاوة . معسة أوى المطاطة .. والبطاطة هى زوجتى فاطمة طبعًا

وتضحك الست فاطمة .. وأغلى أنا من المعدلة وبار البطاطة .

وأنا ذنبى إيه يارب بس .. عملت إيه ؟!

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك توصلها للباب .. وكل عربة فيها شاب صايع مصيسب .. يفتح الباب ويهمس .. عيب الحلاوة دى تمشى على رجليها .. عيب الجمال ده يتمرمط فى الشارع .. الجمال ده لازم يتحط فى قصر .. فى جنة .. وأنا أقف عليها خدام . سفرجى .. شوفير .. تسمحى لى ياهانم أكون شوفيرك .. خدامك .. عبدك مش هايين على روحى للبيه ده .. الطمامة والمقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ العمر حضن على دلك !

والبيه اللى احضن عليه بالطبع هو سيادتى .. شيخ العمر .. حارس أبعدية الجمال والفتنة اللى حاتوديني فى داهية

التحقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبكت فى أكثر من معركة بالأذرع بسبب دمى الحامى .

أعمل إيه .. مش طايق

وهى مظلومة معى .. فما ذنبها فى أنها جميلة ؟

إنها لا تلبس عريان .. ولا تتمخطر فى مشيها .. وطباعها مهذبة

وسلكها عبر ملفت ولا حبيع : ولكن جالها .. جالها يصرخ

قصد عينا البيت وأصررنا على الخروج . صدأ التليفون يدق

آلو من حضرتك .. لا أحد .. رد يابني آدم . البني آدم الخرس ومع

دنت فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة .

في نصف الليل يدق التليفون .. فإذا رفعت زوجتي السماعة رنت طرقعة

بوسة ثم تقفلت السكة وأحيانًا تظل السكة مفتوحة ويدير صاحبها

تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة اكمنه ياناس واحشني وخصامه كمان

حبيبني .. كلمته سمعت صوته .. وقفلت السكة تاني

وأحيانًا يكون صاحبنا مؤدبًا فيكتفي بأن يتأوه على الخط ..

صندوق البوسطة لا أفتحه مرة إلا وأجد فيه خطابًا لست كله أحلام

وهيام وغرام .. والإمضاء .. معجب من الجيران .

وأبدأ في مراقبة الجيران في جنون

من هو المجرم ابن الحرام .. ؟

أول شيء أقرؤه في الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات التليفونية

ماذا تم فيه .. وكم مبلغ إيجاره .. وماهي أطول مدة لإيجاره ؟

وفي الحق أني كنت في حاجة إلى مليون جهاز جهاز لضبط المعاكسات

التليفونية وجهاز لضبط المعاكسات البريدية وجهاز لضبط النظرات

وجهاز لكشف نوايا القلوب . وأخيرًا جهاز لضبط أعصابي وضبط عصبي حتى

لا انفجر وأطق . وأموت

ألا يوجد عمل للناس في الدنيا إلا زوجتي

وكرهت الجمال . وقرفت من الجمال .. وطهقت من الجمال الذي كتمني دم

قلبي

وطلقت الجمال . واسترحت

ومرت سنة .. ونسيت ماحدث لي من تحت رأس الزوج . وعدت أفكر

في تكملة نصف ديني وهذه المرة كانت نيتي أن أبحث عن زوجة وحشة مثل

غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد وحتى أستريح من المعاكسات والمعاكسات

وأنام ملء جفوني

واخترتها . نفاوة .. ليس فيها عضو من أعضائها سليمًا .. شعرها أكرت

وجهها فيه نمش .. عيناها بهما حول .. قصيرة لا تصل إلى كتفي .. سمينة

مدكوكة كالبرميل .. لا تعرف لها رقبة من وسط من كتف من رجلين

امرأة فيها كل العبر ..

واعتبرت نفسي رجلا محظوظًا بكل هذه الوحشة لأني سوف أستريح من

نظرات الناس وسوف أنام لا يدق من جواري تليفون ولا تنزل على تلاقيح

الغزل .. ولا تطاردني طوابير العربات حتى الباب

واندبوا معي حظي التعس .. فهذا ماحدث بالفعل .. لم يفكر أحد في أن

يعاكس زوجتي ولم يفكر أحد في أن يدق لها تليفونًا ولم يفكر مجنون في أن

يطاردها بنظراته ولم يفكر مخلوق في أن يبقى لها سطرًا إعجاب ولم يمصمص لها

كلب بفمه .. وكانت النتيجة . أنها جنت . أصبحت تقف أمام المرآة ثلاث

ساعات لتصبغ شكارة حبس على وجهها وشد جسمها المدكوك بكورسيه

وتلبس سوتيان صغير يلق بهما متربين إلى الأمام وتلبس حذاء كعبه عشرة

سنتيمترات يرفع بها إلى فوق .. وتمشي تتمخطر .. وتتقصع في دلع . مغر .

مغرور .. وتسطر فى تبذل . تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة السنة عشرة سنة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات مدمنى الكحة

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة .. أعوذ بالله شايف الولية .. ياباهر أزرق .. أوعى تقرب منها .. دى بتعض .. دى تلاقيها ست بيت عن كيعك تنضف البيت أحسن من ال د . د . ت . ده تلاقى جوزها حاططها فى البيت عشان تأكل الصراصير ودى حاتموت إزاى دى ياحوبا ده عرواليل بجاف منها .. ياباهر أزرق

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات .. وإنما هى التى أصبحت تدقه وتعاكس وتقفل السكة .. وتتأوه .. وتدير أسطوانات شاذية .. وتستجدى مكالمة لله . آلوفه .

وأنا أتشنج من الغيظ . وأخبط رأسى فى الحائط ..

أليس لى حق فى أكون عدو النساء رقم واحد عدو كل حلوة . وكل وحشة

* * *

ملك حق والله العظيم

٤٠

المثقفة

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات .. غنية .. ومن عائلة غنية .. لى أخت متزوجة .. وأخ أعزب هذا الخطاب يتقدمون إلىّ وأنا مازلت فى الثالثة عشرة من عمرى ، وبالطبع رفض والدى وكنت أحزن أحيانًا لأنه بدأت يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة فى الزواج .. فستان أبيض . ملابس .. خروج .. نزهات .. بيت أحكم فيه بأمرى ومشيئتى

حدث فى هذه السن أن وجدت كل زميلاتى يتكلمن عن الحب والـ « بوى فريند » والقبلات والرقص فأحببت أستمع إليهن مشدوهة حائرة كيف يمرحن مع شبان .. ألا يخفن على سمعتهن

ولكن كثرة الكلام فى هذا الموضوع جعلته فى النهاية يبدو أمرًا عاديًّا ولماذا لا يكون لى « بوى فريند » مثل باقى البنات .. وهل أنا وحشة . وكان هناك ضابط بسكن بجوارنا أخذ يطاردنى واستمر شهورًا بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة .. كان يحوم حولى فى كل مكان . ويعاكسنى فى التليفون . ويبكى إذا قفلت فى وجهه السكة .. ولا أطيل عليك .. قلت فى نفسى : أجرب .. ولن أفعل مثل صديقاتى .. لن أخرج معه .. إذا كان يريدنى حقًّا فعليه أن يتقدم إلى والدى . فالحب فى نظرى لا معنى له بدون زواج .

وقبل أن نتخذ أي خطوة .. فكرت أولا أن أصارح أخي بإعجابي بهذا الشاب

وأعجبت أخي على كل شيء .. وفرح أخي .. واقترح قبل الخطوة أن نلتقي نحن الثلاثة عدة مرات لكي نتعارف .. وحتفظ بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى يعرف بعضنا بعضًا كما يكون . فإن انسجما كان بها .. وإن لم يكن . قطعنا علاقتنا في هدوء وبلا ضجة

وهكذا خرجنا .. وتكرر خروجنا .. مرة .. ومرات .. لمدة سنة كاملة وكان لقاؤنا دائمًا بتدبير أخي وفي وجوده .. وهكذا أتاح لي أخي فرصة نادرة لا تتاح لأي فتاة

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت لا أطيق البعد عنه من أخي أن نخرج ونخرج ونخرج وازداد شوقي وحبي وألح حبيبي في الإسراع بإتمام الخطبة وتقدم بالفعل ليطلب يدي ووافق أبي ورحبت أمي وباركته العائلة وفرحت وأصبحت أسعد إنسانة في الوجود وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبي للسفر في بعثة سنة إلى أوروبا وطلب الإسراع بإتمام الزواج ليصحبني معه ولكني آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمي أنا الأخرى .

وهكذا سافر .. وكنت في وداعه على المطار .. وتواعدنا على أن نكتب لبعض كل يوم ..

وقد بدأنا نكتب لبعض فعلا خطاباتنا من يوم لآخر – ثم بدأت أنا أهمل الرد . ولا أدرى ماذا حدث لي بالضبط – ولكني وجدت نفسي أتجاهله . وشعرت بحبي يبرد ويفتر – وبينما كانت خطاباته تنهال علىّ تسأل .. وتسأل .

كنت أنا ... ولا هذا

ولا تتعجب .. فأنا ذاتي متعجبة من نفسي أكثر منك

لا .. لا يوجد هناك رجل آخر .. ولم أنشغل بأي علاقة أخرى

وحينما رجع لم أفكر في مقابلته ولم أرد عليه حينما ظلوا يتلفنون .. عذرًا عيني إذن .. سأقول لك الحقيقة .. إنه خوف .. خوف شديد .. رعب من شيء اسمه الزواج .

أنا أخاف الزواج وأرتعد منه وكلما سمعت عن صديقة تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج فأراها تندم على أيام زمان أيام الحب . والحرية والحرى لم أر في حياتي إنسانة سعيدة بزواجها . أحق أتعس مخلوقات الله مع زوجها البخيل أمي هي المسيطرة على البيت وأبي يخشاها صديقاتي يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ أغلب الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يخاولن بالمثل واسألني أنا فقد رأيت كثيرًا منهن يحاولن محاولات مستميتة مع أخي

إني أكرهه .. أكرهه

ماذا أفعل

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمري بلا زواج

وهل هذا ممكن .. أم أن هناك حلا ؟!..

* * *

الشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها والحياة شاقة وصعبة ولكننا نتمسك بها .

لا يوجد واحد لم يقل الحياة .. ولكننا مع هذا نعشق الحياة ونتعلق بها

وستميت فى التعلق بها

لا تصدق ما يقوله المتزوجون .. إن كل شكاوى المتزوجين كذب .. والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته

والخيانة الزوجية نادرة .. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة .. فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر حولها الكلام .. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية .. والبيوت الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد .. وهذا يخيل لك أنه لا يوجد فى الدنيا شرف

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع .. ولهذا فإن المتزوجة التى تشتكى من زواجها .. لو أنك قابلتها وهى بنت لاشتكت لك من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذى ترتاح إليه وتتزوجه.

ومشكلتك الحقيقية .. أن عندك عقد المثقفات المترفات .. القلق .. والدلع .. والملل .. والضجر من كل شىء بسرعة

وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة .. لو أن خطيبك هجرك .. ولم يسأل فيك .. وكان أقوى منك فى شخصيته وإرادته .. لجريت خلفه تتمسحين به كالقطة .

٤١

اشرب

أنا واقع فى مشاكل لا أول لها ولا آخر .. وكلها بسبب تفكيرى فى الزواج .. ولأبدأ من أول القصة

أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل فى معيشتهم . صارحت أبى برغبتى فى الزواج فطوع مشكوراً هو وأمى فى البحث عن عروسة

وبعد شهور من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها .. وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب .. فوالدى يشترط على الفتاة أن تعيش معنا فى عيشة واحدة .. فى الغرفتين اللتين تسكنها العائلة

ننام نحن فى غرفة .. وتنام بقية العائلة فى الغرفة الثانية .. ولم تقبل الفتاة وردت الشبكة ومقدم الصداق .. واعتبرت أنها نجت بنفسها من مصيبة

وكعادة والدى .. أشاح بذراعه بلا مبالاة .. وقال لى .. ولا يهمك السوان على قفا من يشيل .

وذهب يبحث وينقب .. ويسأل ويستقصى .. ثم عاد ومعه صحور عبة وارثة وشكلها على قد الحال . وقال لى . هى دى اللى حاتريحك وحاتريشك . ولية كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك . وحاتفرح بيك . شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت .. وربنا يتوب عليك م الفقر لى اب

فيه .. يالله ياشيخ اتكل على الله .. يعني حاناخد إيه م الصعيره .. ماهو كلهم في الصنعة زى بعض

وهذه المرة حطبت وشبكت وكتبت الكتاب في نفس اليوم . واعتبرت أن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد الوالد وبدأت المشكلة ..

والمشكلة هذه المرة أثارها الناس

الناس اتخذوا من زواجي موضوعاً للدريقة .. ومادة للتلقيح كلما شاهدوني في طريق أتأبط ذراع الست

حلاوتك يابو طعم سنان

سلامتك م الكحة .

يجيب لك لزقة

ياشيخ روح هات لها كفن .

يارب حليكي ياحنفي

والنتيجة طبعاً أني بدأت أعاني من حالة عصبية ظلت تتفاقم يوماً بعد يوم حتى وجدت نفسي في أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق غيابياً .

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها في ذهول .. لم تصدق أن هذا الرجل الحربان الذي تعطف عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها .. هي ست الناس وصاحبة الجاه .. واشتكتني في المحكمة .

وثار والدي وتبرأ مني .. واعتبرني ندلاً ..

وكانت خصومة استمرت شهوراً

واحتجت مدة .. وكنت أتلقى إعلانات الحضور للمحكمة في خوف وحجل وإحساس بالذنب .. وكنت أقتطع من مرتبي الصغير لأدفع للمحامي ووكيل

المحامي .. ووقعت في أزمة .

وكالعادة انتهت المشكلة وتصالحت مع أبي لتبدأ القصة من جديد .. فقد راح أبي يبحث لي عن زوجة ثالثة

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جداً . لم تشترط مهراً ولا شبكة ولم تسأل عن مستحب بها

وعرفت بعد الزواج .. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل وتشترط وتطلب .. فهي من عائلة فقيرة دقة .. تسكن في حارة سد في غرفة واحدة يبقى حا تسأل على إيه ؟!

وهي بالطبع قانعة ..

ولكني غير قانع .. وتعبان .. ولا أفهم كيف تزوجت .. وكيف طاوعت أبي كطفل في هذه الزيجات الثلاث .. وكيف لم يكن لي رأى .

الشعور بالذنب يطاردني باستمرار .. وشعور آخر بأني لا أستطيع المضي في هذا الزواج .. ولا أستطيع التبكيل على نفسي للنهاية

أريدك أن تجد لي مخرجاً ، علماً بأني لا أستطيع العودة إلى الزوجة الثانية ولا الأولى .. ولا أستطيع أن أمضي في هذه الورطات إلى مالا نهاية

• • •

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات .

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب وأم وأخ عاطل ، وتعيش معهم في غرفتين ، فأنت إذن من البداية لا تستطيع أن تفتح بيتاً .. وليست لديك مؤهلات الزوج ..

وإذا كانت هناك ورطة فهي ورطة الذين قبلوك وارتضوك عن علاتك

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تربية الناس والحقيقة أن ضعفك وليس والدك هو الذى يورطك فى الزواج بالعمية ، ولكنك تسمحت بالوالد وهى مماحكة لا تعفيك من المسئولية فأنت لست طفلا ولا قاصرًا ولا فتاة عذراء ولا عذر لك فى أن تقول وأنه مالى أنويا قال لى اعمل كذه

متأسف .. ليس لك مخرج عندى

من العدل أن تظل موحولا فى أخطائك

٤٢

خبير بالنساء

أنا شاب ، سنى ٢٠ سنة موظف ولى إيراد عير وهيعق من أملاك قليلة تدر على إيرادًا آخر إضافيًا لا بأس به أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشترك فى نادٍ رياضى

أزاول الرياضة الصيفة وأنفسح فى عدة لعات . والواقع الى فى نفسى أعانى إحساسًا شديدًا بالوحدة .. والخجل .. والتردد ..

اشتركت فى النادى وهويت الألعاب لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأنفسح فى الناس وأخرج من وحدتى ... وأكون علاقات

ولكنى مع ذلك أشعر أنى مررلت متحفظًا منطويًا بالرغم من كثرة أصدقائى . وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة احتماعية . تعرفت على فتاة منذ سنوات .. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة ..

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها وكانت حينًا نلاحظ خجلى تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة وإن الصداقة علاقة رفيعة . وإن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن تكون فيها خيانة لزوجها ، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب وأنها مثلا تحب خطيبها ومع هذا تشعر بشعور الأخوة والصداقة نحوى ... ولا تجد فى هذا الشعور مايشينها

والحق ... لقد أعجبتنى عقليتها جدًا . وكنت أرى فيها مثال الفتاة

العصرية النموذجية ..

وبحكم اشتراكنا في النادي معنا – فقد كنت ألتقي بها كل يوم ... حيث نلعب معًا التنس . والسبح معها . ونشرب الشاي ونأكل الساندويتشات ونثرثر في مواضيع لا نهاية لها

ولم أشك يومًا في طبيعة إحساسي نحوها فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أي غرض

وحدث بعد هذا أن تزوجت ... وكان زوجها موظفًا في إحدى البلاد العربية وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هي .

وظلت على مواظبتها في الحضور كل يوم للنادي واستمرت صداقتنا وكان يحدث أحيانًا أن نذهب إلى سينما حيث نقضي الوقت ونناقش في الفيلم ونعلق على ماتراه

ولم يكن ينطوي ذلك دهني في أي ساعة أن أعترفا أو أظهرها الحب ، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات ..

ولهذا سرني كثيرًا في إحدى المرات أن رأيتها تطلب مني خمسين جنيهًا سلفة .. فقد شعرت أنها تعترف بالفعل صديقًا تثق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة .

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط لي المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث في الموضوع واعتبرت أن المسألة منتهية . وأن ما تحتاج إليه لها أن تأخذه من جيبي بدون حساب وكأني أخوها ... أوكأني نفسها ..

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبي السرور .. ويشعرني باحترامي

لنفسي ويشبع علاقتنا والواقع أنها لم تتردد بعد هذا في أن تطلب مني دفعات أخرى من خمسين . وخمسين .. وعشرين جنيهًا أخيرًا . وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة

والحق أنا لا أكذب عليك ، أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد وأرى أنها تكاشفني باحتياجها للمال من وقت لآخر وأني أنا وأنا بالذات أكون الصديق الذي يسارع إلى مساعدتها

هل هذا حب ؟!

لك أن تسميه كما تشاء .. ولكني متأكد أن مشاعري لها لم تتلوث لحظة واحدة وظلت حتى هذه اللحظة أيدها للمشاعر الرفيعة والصداقة الروحية التي لا يدنسها دنس

ولا أنكر أني أصبحت الآن في حاجة إليها أكثر مما هي في حاجة إلي . ولهذا أصبحت أشعر بسرور حتى كلما ارتبطت بي بروابط الحاجة المادية . وأشعر أنها أصبحت ملكي أكثر وأكثر . وهو شعور خبيث . يحجبني أن أشعر به ولكنها الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور

أصدقائي يقولون لي إنها تستغلني . وإن رجل غبائي .. ولكني أعتقد أني رجل خبير بالطبيعة الإنسانية ولو أنها كانت امرأة من هؤلاء لتجرأت في علاقتها معي لتستغلني أكثر . وتعصر احتياجي لها أكثر وأكثر . ولكنها طوال علاقتنا كانت مثالاً للشرف والعفة والأخلاق الكريمة وهذا ينفي في نظري أي شبهة للاستغلال . في حدود فهمي للطبيعة الإنسانية على الأقل والا فما رأيك أنت ؟

• • •

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية .. هو اللى غيطك ..

ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع وفى الطبيعة الإنسانية اللى معطاك كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والخلجات الروحية الطاهرة الصوره دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال لأنها الصورة التى رفعت سعرها فى نظرك وجعلت المبالغ التى تطلبها حسب حبيبها لها حق أن تبررها فإنه لم يكن ليرفع سعرها من على العكس يخفضه إلى شلن

والدليل الأخير انها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلا يعمل فى وظيفة بالبلاد العربية ويغيب أغلب الوقت عن القاهرة ووظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية .. ومرتباتها لا تقل عن ألف جنيه فى الشهر

ومعنى ذلك أن اختيارها للزوج كان اختيارًا مبنيًا على حس العقلية المادية

ومع ذلك فهى تبتز منك مائة وسبعين جنيهًا فى شهور .. ليه !!

خلجات روحية .. ومشاعر رفيعة برده ..

فى الواقع أنا مش شايف روحية فى الموضوع

وخصوصًا أن الصديق الذى اختارته خلجاتها الروحية وهو صديقك صديق مليان ماديًا وعل باته والا ايه والا حاترجع تانى لحكاية جرتك بالطبيعة الإنسانية . على كيفك ..

٤٣

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدى ووالدتى عاشق عبة وكل ما أطلبه أحصل عليه فى الحال . وبالرغم من هذا يعذبنى الإحساس بالمسئولية . وأشعر بالذنب حينما أرسب .. وأبكى كثيرًا .

وأنا أتلقى دروسى فى مدرسة إعدادية خاصة وقد رسبت فى السنة الماضية وبكيت كثيرًا وأصبت لأبى برغبتى فى ترك المدرسة والاشتغال بأى شغلة . ولكنه رفض . وقال وهو يضحك . ولا يهمك اسقط على كيفك أوع تزعل نفسك حد طوس زى ما انت عاوز احنا فلوسنا كتير والحمد لله .. مشغل ليه .. وشعب نفسنا ليه

وذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالواحات للزيارة ، وحينما حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة ليه يابابا ده السنة فى آخرها والامتحان قرب ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستروح بعد العيد مباشرة وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى فأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتمترًا ..

وتعجبت وانعقد لسانى من الدهشة . وأخذت عيناى تتوسلان لأبى بالدموع وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن فكرة زواجى . فى هذا قضاء على مستقبلى ورحت أستعطفه وأستقدم الوسطاء ليستعطفوه لكنه ظل يرفض بشدة .. ويقول .. يابنى أنا عاوز أفرح بيك . وأشوفك متجوز ومخلف

قدامي وعيالك يلعبوا حواليه

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسي .. فقال وهو يضحك

عيب يابني تقول كده .. أمال أنا فين .. إنت مالكش دعوة . الطلب الصوص (اللي ستطلبه) أنت وزوجتك وعيالك مفروضين مني أنا فيه حد يلاقي الراحة ويقول على التعب .. خيرنا كتير يابني والحمد لله .. إيه لازمة الشقا

وفشلت كل محاولاتي في منع الزواج . وهو مصر على إتمامه قبل العيد ماذا أفعل ؟..

* * *

من الواضح أن أباك يعاملك كالست العذراء القبيلة الخيلة مش مهم تسقط أو تنجح مادام حرمها البيت . ومش مهم تشتغل مادام - ربنا يطول عمره - بيديها المصروف ومايصحش تقول لا ساعة مايجيها ابن الحلال عيب بابا عاوز يفرح بيها ويشوف ولادها وولاد ولادها يجروا حواليه ويملوا عليه البيت

والمشكلة ليست فقط مشكلة دلع . ولكنها مشكلة إهدار كرامة رجل تمامًا وإهدار حقه في أن يصبح ويجمع ويصحح ويستقل بحياته وإهدار حقه في أن يحب ويختار شريكة حياته .. ويعيش الحياة كما يجب أن يعيشها

إن أباك يريد أن يعيش حياته ويعيش لك حياتك أيضًا

إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على أن تفرح أنت بنفسك وهذه أنانية مقنعة وليست حبًا .. إنه يريد أن يحرمك من إحساسك

بذاتيتك في سبيل إحساسه هو بذاتيته وبأنه رجل غني قادر على فتح بيوت وبيوت

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات .. لتكن دماغك ناشفة كالحجر .. وعزيمتك ماضية كالحديد .. فأنت رجل ..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها فأنت لا تملك إلا حياة واحدة . وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبق لك شيء ..

٤٤

حب غريب

أنا أسعى اليوم في عامى الثامن والعشرين

منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم به حبيبى

وحبيبى فى الستين لا تدهش ولا تمصمص شفتيك فى سخرية ولا تقل: هى مراهقة أو حماقة فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياتى الحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها

هذا الرجل فى الستين الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى خريف أيامه هذا الرجل كان دائمًا ربيع أيامى كان شبابى . وكان قلبى لا ينبض إلا له

وقد نشأنا فى عمارة واحدة وكان صديقًا لعائلتنا وقد تزوج وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد وكنت أعيش على خياله وأنام على خياله . وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائمًا

وقد ماتت زوجته فعلا ومات معها طفلها الوحيد وعاد حبيبى يعيش منفردًا فى بيته الكبير يطوى ضلوعه فى حزن دائم وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته .. وأنه يحفظ لها إخلاصًا لا يموت

وكتمت حبى فى نفسى . وحاولت أن أنساه .. ولكنه كان يشتعل ويتأجج فى قلبى كلما رأيته بعينى الواسعتين الحزينتين

وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنيها .. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء كلاب صيده والكمان الذى يداعب أوتاره فى أوقات فراغه وصور زوجته ، ومهمة المحاماة التى يزاولها

أما أنا فلا مكان لى فى حياته .. إنه لا يشعر بوجودى .. لا يرى أشواقى الفاضحة ، ولا يحس بحالى ، ولا يدرك عواطفى المتأججة نحوه . وأنا فى اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرص للزواج لا تتاح لفتاة فى دمشق رفضتها جميعًا لأنى لا أريد أحدًا سواه أن زوجته أمام الله وأمام نفسى وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له

لعلك تقول لابد أنها قبيحة لا أمل لها فى أن يحبها أحد وهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه

ولكن الحقيقة المؤسفة أنى جميلة . ومثقفة .. وأحمل دبلومًا عاليًا فى اللغة الفرنسية وأجيد العزف على البيانو ومعشوقة من الجميع وعائلتنا ذات مركز مرموق . وأعيش فى مجتمع ينظر إلىّ فى حب و احترام ولكنى لا أشعر بهذا المجتمع لا أشعر إلا بشىء واحد هو حبيبى بيننا فارق فى العمر يبلغ ٣٢ سنة ، ولكنى لا أشعر بهذا الفارق ..

إنه شبابى .. وطفولتى . وحياتى

ماذا أعمل ؟.. أنا أتعذب ..

* * *

هذه عاطفة غريبة . لو كانت سنك ١٦ سنة لقلت هذه هي المراهقة بعينها .. ولكن سنك ٢٨ سنة ، ولك خبرة واختلاط بالرجال .. ومثقفة وحساسة .. وفنانة .. وجميلة

لا شك أن الرجل فيه جاذبية فهو وحيد يعيش معتزلاً في بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التي يبثها أشجانه ، ومع صور روجته فهو إذن عاطفي حنون رقيق فنان موسيقي القلب مثلك

إن بينكما شيئاً يجمعكما

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما ، وهي كفيلة بأن تسحق أي عاطفة وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشغليها بخيالك على الدوام أشك في أن هذه عاطفة امرأة لرجل ربما كانت صورة من صور عشقك لأبيك ، وهو عشق يظل مكبوتاً بحكم كونه محرماً حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر فيها .

ربما كان حباً ..

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع ..

إن روجاً في سن الستين لا يستطيع أن يقوم بوظائف الزوج في أغلب الأحوال وهو لن يكون أكثر من صديق هل تكفيك هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة ..

هل ترتوي الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطوني

أشك في هذا والزمن بيننا .. صارحيه وتزوجيه

يشوقني جداً أن أعرف مصير مثل هذا الحب في الواقع إنك على الأقل ستفهمين نفسك . وهو لن يخسر شيئاً . وأنا سأزداد خبرة .

معبود الأرامل

أنا شاب في الخامسة والعشرين من عمري وبيت في بيت كله قسوة وشقاء فأنا لم أر أمي ، بل روجة أبي في أبشع صورها وكنت أبدأ يومي بعلقة تنتهي بتمزيق ملابسي وحرق كتبي وأختم يومي بكنس بيت ومسح بلاط وأنام على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة .

لن أطيل عليك انتهت حياتي التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة ليس ذلك لكسل أو غباء مني فالكل يشهد بذكائي ونبوغي وكنت طليعة حياتي الأولى ولكن إذلال روجة أبي وقسوتها كسرا شوكتي وحطما عقلي وذكائي

وعملت في إحدى الوظائف محترمة جداً بمرتب أكثر من عشرين جنيهاً لعلك تتساءل وماذا تريد إذن .. صبراً .. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمرهم المسكن معظمها مؤقت فقد كانت بعقد مدة ستة أشهر . وينتهي العقد بانتهاء الستة الأشهر

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضاً معه لم يعد لي عمل سوى التسكع في الشوارع والتطلع إلى العربات والأكل كل يوم عند صديق والمبيت عند صديق آخر

وأحياناً كنت أبيت في الحدائق . أو في محطات سكة الحديد متظاهراً أني أنتظر قطار الصحو

وأخيرًا قررت الرحيل من القاهرة . وفى فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية .. وبدأت السير من الطريق الصحراوى وسرت .. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب .. فتوقفت وسط الطريق أشير بعربات تحملنى معها . ولكنها كانت تمر بجوارى دون أن تفكر حتى فى أن تهدئ من سرعتها . وساعتها كرهت لدرجة ومن عليها وتمنيت لو تدهسنى سيارة فأستريح .

وكان الليل قد حل . وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومترًا ، وحل بى الجوع والعطش والتعب . فارتميت فى الطريق . وسلمت أمرى لله . وفى تلك اللحظة مرت بى عربة فارهة تقودها سيدة .. وتوقفت العربة بجوارى ونزلت السيدة وحملتنى معها إلى الإسكندرية وأخذتنى إلى بيتها .

ومكثت راقدًا ثلاثة أيام مريضًا بالحمى .. وفى اليوم الرابع شفيت وأحضرت لى السيدة طعامًا وشرابًا . وبت معها تلك الليلة . وتكرر هذا فى الليلة التالية والليلة التى بعدها . وفى اليوم السادس أعطتنى خمسة جنيهات وقالت لى . تيجى كل يوم خميس . فكنت أذهب إليها وأمكث عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت . وتعطينى الخمسة جنيهات . وتكرر هذا أسبوعًا بعد أسبوع وفى أن كان الخميس الماضى . حيث رفضت أن تعطينى نقودًا .. وقالت لى .. إذا كنت عاوز فلوس لازم تتجوزنى .. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه .. تصور ألفين جنيه

ست أن أصف لك هذه السيدة .. إنها فى الخمسين من عمرها .. شكلها مقبول . وعنيفة جدًا جدًا . وشاذة .

هذه مشكلتى

هل أتزوجها وأعيش طرطورًا .. وماذا يكون مصيرى حينما أملها . ون روحها بوجودها مع رجل آخر

وماذا يكون مصيرى إذا تركتها وعدت إلى تشردى وبطالتى . إنها تنتظرنى .. انصحنى

* * *

أنصحك بأن تعقل . أنت تعقل عشر . وأن تعالج مشكلتك بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة عنية شاذة فى الخمسين . هبطت عليك من السماء .. فى عربة فارهة .. وطلبت منك القرب وقدمت لك خمسة جنيهات ثمنًا لرجولتك الفذة التى لا مثيل لها .

وليس أسهل عليك ولا أمتع لخلقك التعاب من وظيفة العشق أن يحلم ثمت مهبط الوحى والهمه للأرامل من صاحبات الملايين . وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتال بها على عذابك . ولكنى لا أجد دعيًا لأن تحتال علينا أيضًا .

أفق لنفسك وحاول أن تستعمل ذراعيك . وهناك ألف مصنع جديد يفتتح فى عرض البلاد وطولها . فى حاجة إلى شبابك . ورجولتك . قوم شوف لك شغلة

٤٦

سر السعادة

أنا شاب في الخامسة والعشرين ولا أزال في الجامعة . مظهري وشكلي جميل ، وهذا هو السبب في تعاستي ومصائبي

لنا جارة ولديها طفلان زوجها كان متزوجًا بأخرى وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر . وفي هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بي بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات .. ثم بالمقابلة وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما ثم بدأت تدعوني إلى شقتها وتسهل عليّ الأمور وتهون عليّ المغامرة ..

وضعفت أمام إغرائها وأمام شبابي وحرماني وأصبح لقاؤنا في شقتها وفي ليالي غياب زوجها عادة ..

ولأعد قليلا إلى الوراء في سنوات نشأتي . فقد كنت مثلهب العاطفة متدفق الحيوية . وقد بدأت صباي بحب وحيد ملك عليّ كل حواسي . ولكني لم أستطع المضي فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأني كنت لا أزال طالبًا وأمامي مستقبل .

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بي في أحضان هذه العلاقة السيئة .

وكان نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر .. هي الشك الشك في كل النساء .. وكل الزوجات ..

فأنا اتصور دائمًا أني سوف أتزوج ، فتخونني زوجتي وأصبح طرطورًا أدخل البيت أشخط وأنطر وألقي أوامري باليمين والشمال ثم أخرج فترتمي زوجتي في أحضان رجل آخر

وتقول له أحبك .. أعبدك .. أنقذني من زوجي . أنا أكرهه لا أطيقه .. هذا الزوج الذي سوف يكون أنا بالطبع

وكبرت المسألة في دماغي فبدأت أتلفت حولي في ذعر وأنظر إلى أحق في شك وريبة ثم إلى أمي التي بلغ عمرها خمسين عامًا أصبحت أشك فيها هي الأخرى ، وأحاسبها حسابًا عسيرًا على خروجها وغيابها وأسألها أين كنت ؟ . ولماذا ذهبت بمفردك ؟ لازم تفهمي أني مسئول عن العيلة . وخناقات لا تنتهي

وهكذا تسممت حياتي .. وتسممت أفكاري ..

والآن أنا في عذاب مستمر . أريد أن أتزوج والشك يقتلني قالت لي صاحبتي مرة وهي معي ماذا تفعل لو كنت زوجي واكتشفت هذه العلاقة ؟ فقلت لها على الفور أقتلك والعجيب في الأمر أني أحتقرها وأكرهها وأحتقر نفسي لأني أضعف وأستجيب لإغرائها مجرد ذلك الشيء الحيوان الذي في دمي .

ماذا أفعل كيف أتزوج وأتصرف كزوج طبيعي وهل هناك أمل في في سوف أكون في أحد الأيام زوجًا طبيعيًا وكيف الخلاص من هذه العقدة ؟..

* * *

لكل شيء في الدنيا ثمن . ولكل خطأ عقوبه الفوري وأفعال العيب

لأن هذه عادة ... بهم يكافئون عليه مكافأة فورية .. سعادة الحب وطمأنينته .

وأمثال الذين يعيشون في تلك الظروف يختلسون من بيوت الناس . يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك

هذه ليست عقدة .. إنها معدل طبيعي للفعل

إنه فعل خال من الاطمئنان في جوهره وطبيعته . فعل يسيطر عليه الخوف والقلق .. وهو لهذا يلد الشك وسوء الظن

ليست في المسألة عقدة

إن الراحة والاطمئنان والسعادة . لا يمكن أن تنشأ إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره .. وأعماله وظروفه

حاول أن تحقق هذا الانسجام في حياتك بالبحث عن امرأة تحبها .. بقلبك وعقلك وجسمك .. ولا تمارس معها الحب باحتقار

٤٧

ملانكوليا

نشأت في مدينة متوسطة من أبوين عصابيين .. وأنا أصغر أبناء خمسة . ثلاث شقيقات متزوجات وأخ في المرحلة الثانية في إحدى الوزارات

وأنا في العشرين من عمري في السنة الأولى من دراستي الجامعية

مشكلتي أن هناك رغبة حيوية تستحضرني وتدفعني .. رغبة في تحطيم أي شيء يقع تحت يدي . أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها . أحطم الأطباق والزهريات . أي قلم أمسك به أغرس سنه في الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه .. وأشعر بلذة وأنا أحطمه ..

وحينما أقف في طابور السينما أو الأتوبيس وأرى أمامي شخصًا أشعر برغبة جامحة في خنقه والاعتصار على رقبته بيدي . وفعلا ترتفع يداي في حركة لا شعورية إلى عنقه . ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة إلا بتحريك رأسي بشدة في هذه الحالات لأبعد عيني عن المنظر كله . وأحيانًا أمسك إلى دفعه بيدي لأبعده عني . وقد أوقعه على الأرض . وتحدث هذه الأشياء كثيرًا وأنا مع أصدقائي مما جعلهم يبتعدون عني . ويقولون إن هزاري سخيف . وهم يظنون ما أفعله هزارًا

أحب السرعة في كل شيء .. في الأكل والبس والمشي . أغير أصدقائي بسرعة .. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد .

حاولت كثيرًا أن أعرف سبب حالتي وعدت بذاكرتي إلى الوراء لعلي أجد

سنًا في طفولتي … ولكن طفولتي عادية .. اللهم إلا ضخامة هيكل العظمي التي كانت تخيف الأطفال .. وضخامة يدي .. وضخامة كتفي ، وهم في المدرسة يسمونني الكتف الحديدي .

وفي العام الماضي حدث أن رفعت مائة كيلو جرام دون علم سابق . وحاول المدرب إغرائي على التدريب .. لكني لم أحفل به

حياتي الجنسية عادية . فيما عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابني وشعور حاد من المرأة

وهذا السبب أرفض الزواج ..

لي صديقة أحبها وأعبدها وتبادلني الحب والعبادة .. وهي صغيرة وجميلة وطيبة . وأتمنى أن أتزوجها … ولكني لا أجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة خوفًا من انقلاب حبي إلى كراهية حينما أعاشرها زوجيًا .

تنتابني نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت .. فأدخل غرفتي ولا أخرج منها يومين أو أكثر

وقد يمضي يوم وليلة لا أتحرك من مكاني حتى تدخل أمي وتنتزعني بالقوة من الكرسي الذي أجلس عليه متجمدًا كالتمثال .. لكي آكل ..

أين كان عقلي . وكيف سكت .. ولم تصرخ طاقة الطعام

إن حالتي تتدهور بسرعة .. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسي خوفًا من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدري

ذهبت إلى أطباء عصابيين . وحاولوا علاجي بالحقنات والإيحاء بلا فائدة .

أرجوك أنقذني

* * *

إن الطب العصبي لا يكفي لعلاجك .

أنت في حاجة إلى طبيب أمراض عصبية .. وعلاج منتظم في مستشفى

إن حالتك .. حالة مرضية معروفة اسمها الملانكوليا .. والمريض في هذه الحالة يعاني من رغبات متسلطة .. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شيء حتى عن الأكل

وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى مختص

٤٨

جنون الغيرة

أنا شاب عمري ٣٠ سنة متزوج من سنتين .. وزوجتي مدرسة بمدرسة الراهبات . والشيء الذي لا يعرفه أحد أني أعيش في عذاب الغيرة طوال السنتين ، وأنا أكتوي بنار الغيرة .

زوجتي ليست جميلة .. ولا خفيفة الدم .. بل هي عادية جداً جداً وظاهر تصرفاتها يوحي بالثقة . وسمعتها حسنة . ليس عندي شيء أمسكه عليها . ومع ذلك أنا أشك فيها . الشك ينهشني . والغيرة تأكل قلبي .

وإذا ركبنا « أتوبيس » ، ألمح بجوارها وأحملق في كل شاب في ريبة ، وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاظ ويغلي الدم في رأسي وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها . ولا أجرؤ أن أجاهرها بشكوكي . وإذا حضرت من عملي ووجدتها واقفة في البلكون أغتاظ . وإذا رأيتها تلبس فستان ديكولتيه مفتوح شوية أغضب وأتضايق . ولكني أكتم حنقي وغيظي ولا أصارحها حتى لا تقول لي : متأخر ورجعي .. ولكني ألاحظ أنها تأخذ بالها .

وإذا حضر زوار لأسرتها في البيت ، وأخذوا يروحون ويجيئون شعرت بالضيق مع أننا وحدنا في غرفة بعيدة ..

وإذا وجدتها مبسوطة ومش واخدة بالها .. وكلمتها فسرحت إلى في شرود أغضب في نفسي .. وأنام بلا عشاء .

وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة .. وكان حولنا شبان أظل أتململ طول الوقت .. ولا يعاودني هدوئي إلا إذا رجعنا إلى البيت .

وإذا ضحكت في الطريق ألتفت حولي لأبحث عن الرجل الذي ضحكت له .. وإذا عبست تنتابني الوساوس والظنون .. ويظل عقلي يحتشد بالظنون القاتمة .

وهي الآن حامل .. ولكني أشك أحياناً في الجنين الذي تحمله . أشك في أنه قد يكون من رجل آخر غيري .

أنا أعيش في عذاب .

ولكن ماذا أفعل ؟ .. وأنا أحبها . أعبدها .

* * *

أنت لا تحبها .. أنت تحب نفسك .

أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك . كما لو كانت تابعة بلا حرية ولا بلا إرادة . لا حق لها في أن تنظر إلى اليمين أو إلى اليسار أو تضحك . أو تعبس . وأنت لا تكتفي بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها ..

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير قادر على الاحتفاظ بها . وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعي . ومواجهتها بشكوكك الملكية . ولكنك لا تجد حتى الشجاعة في هذا . ولهذا تغلي وتكتوي بالنار وتغتاظ . وتتكلم في نفسك .

وحينما تراها تضحك في الطريق .. تلتفت حولك لتبحث عن الرجل الذي ضحكت له ، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت . أنت في نظر نفسك تافه . لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك .

إن العقدة في نفسك ... وإذا لم تتغلب على هذا الشعور بالنقص فإن راحتك ستضيع

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك ولن تعرف كيف تحبك . لأنك لا تعرف كيف تحب نفسك

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٤٩
الحقيقة الخفية

أنا زوجة .. وأعمل في إحدى الشركات

معي في العمل شاب أعتبره أنا رجلا مثاليًا جذبني إليه بأدبه وذوقه ورقته فحفظت له أعظم تقدير وكانت نظراتي إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه حتى إني كنت أمتدح أخلاقه المثالية أمام زوجي . إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعتها نظرات من جهته .. نظرات طويلة وغير عادية

وذات مرة سألت نفسي ماذا وراء نظراتي له ..؟

إني أحب زوجي حبًا جمًا وأقدس حياتي الزوجية ولا ينقصني شيء في الدنيا وبرغم انشغالي نصف يوم خارج بيتي فأنا لم أفكر مطلقًا في إهمال شيء بيتي أو زوجي ..

وزوجي يعطيني كل حب ومودة وتقدير ..

فما معنى هذه النظرات التي لا أستطيع أن أوقفها عند حد؟!

لماذا تعلقت به عيني إلى هذه الدرجة؟!

ولم أستطع الإجابة عن هذا السؤال .

ولكني كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكي له مشاكلي وعذابي وآلامي ..

ولكن هل هو كذلك ؟

لا أعلم

وإلى الآن .. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة .. لم يفتح فمه بكلمة .. ولم يصارح أحدنا الآخر بحقيقة نفسه

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى .. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة .. مهما حاولت .. فإنها شيء فوق الوصف .. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ

وأنا أحرص دائماً على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى .. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى متعلقة به .. مشتاقة إلى النظر إليه فى كل لحظة

وقد فكرت فى هذا الوضع .. وفى كونى زوجة .. وفى الحرج الذى أشعر به .. ويشعر هو الآخر به

وهو من ناحيته يحاول دائماً أن يبتعد عنى .. ويحب الانفراد بى فى مكان .. ويحاول أن يهرب .. وكلما سنحت فرصة لنلتقى معاً يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان .. وفى اليوم التالى يحاول أن يظهر إهماله لى .. ولكن نظراته تعود فتفضحه .. نظرات كلها شوق ولوعة

وهكذا تستمر المناورات بيننا .. ونقترب ونبتعد فى سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم .. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شيء .. لا شيء سوى مظهر الزمالة العادية .. ويعلم الله ماتحس كل منا .. والآن أشعر أن مشكلتى تتفاقم بسرعة

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه ؟ مارأيك ؟

* * *

من الواضح أنك لم تتركى لى فرصة لرأى .. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك تستفتين .. وتستفتين نفسك وتضع أحكام نهائية ترفض بحدس حديثى أدبه وذوقه ورقته

كلما نظرت إليه شعرت بفرحة وحنين ، وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقاً أحكى له عذابى وآلامى .. ليه لآلام دى .. وليه العذاب ده كله .. إنك زوجة ويحبك زوجك وروحك يحبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شيء ينقصك فى الدنيا .. كما تقولين ..

واضح أنك تختلقين هذا العذاب لتحقق من نفسك ضحية مسكينة فى حاجة إلى النظرات الحلوة .. المشتاقة .. الوهامة .. إلخ ..

إنك تصنعين حيثيات وهمية لتستحل بعد ذلك أى شيء .

وهى نظرات .. يوه منها ..

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت فإنها شيء فوق الوصف .. ياسلام .. لا ياشيخه .. نظرات كلها حنين وشجن وهمس .. إلخ

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات

طبعاً بعد كل هذا الإحراج .. مش ممكن

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عمل فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه بعين تهديني كما .. بأنك لن تستطيعي الاستمرار في عملك .. لو أنك تركتيه حاله

نقص تقولين . حانرمدي .. ونقطع عيشي لو قلت لي سبب

إن المشكلة قطعًا ليست مشكلة شاب في محل عملك ينظر إليك ..

ومثلك كامرأة مروحة سوف تجدين في كل مكان رجلا مستعدًا للنظر إليك طول اليوم

إن المشكلة هي مشكلتك أنت .. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو في قلبك حيانة زوجك .. رغبة بدون سبب .. فأنت تحبين زوجك وهو يحبك .. مجرد تخريب .. عبث .

والنهاية طبعًا معروفة

نظرات طويلة متبادلة في محل العمل حصص عيني حبيك وفضيحة بلا حل .. وخراب بيوت .. وخيبة عين

وفي النهاية بعد أن تخسري كل شيء لن ينظر إليك حتى الرجل الذي خصيته بنفسك

سيظل يتخيل نفسه في مكان زوجك الذي خنته وأنت تحبينه سيظل يشعر دائمًا أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبدًا وهكذا تفقدين كل شيء كل شيء وتنتهين تمامًا

٥٠

التعود

أنا موظف صغير في الدرجة الثامنة أقوم بمساعدة أهلي في الريف بجزء من مرتبي وأعيش بالجنيهات القليلة التي تتبقى لي في القاهرة في غرفة بمفردي ومازلت «أعزب» إلى الآن

مضت على تعييني ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئًا للزواج تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة في الدرجة السابعة بأحد مستشفيات الحكومية .. سمراء ملفوفة .. تكبرني سنًا بحوالي خمس سنوات

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا كنا نتقابل دائمًا في الخارج لنقضي الوقت في أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما

ثم حدث أخيرًا أن دخلنا إحدى حفلات السينما التي تبدأ في منتصف الليل وتنتهي في الثالثة

وخرجنا في الساعة الثالثة لنواجه مشكلة .. أين نذهب

أنا لم تكن عندي مشكلة لأني أعيش وحدي وأستطيع أن أعود وحدي في أي ساعة من الليل أما هي فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات في مثل تلك الساعة المتأخرة

وفكرت .. وفكرت .. ولم أجد حلاً .. وأخيرًا أخذتها معي إلى مسكني لنقضي به بقية الليل

وأصارحك بأننا قضينا هذه الليلة كما نشتهي . وعوضنا السنوات الثلاث التي كنا نلتقي فيها في الخارج

وتكررت هذه الأشياء وأصبحت تتردد على منزلي . وأصبحنا لا نسأل عن سينما أوكازينو . فالمنزل أحسن بكثير .. وكانت تبيت معي لأن عملها يجوز لها ذلك . فهي حكيمة وعندها ورديات بالليل .. وأحياناً ورديات بالنهار ..

وأخيراً فكرت في الزواج منها وشجعتني على هذه الفكرة وقالت لي إنها ستساعدني في كل شيء . ولا داعي لأن أحمل هم التكاليف

ولكن عندي في نفس الوقت أسباباً تجعلني أتردد ... فهي ليست جميلة وهي أكبر مني سناً وهي في الدرجة السابعة وأنا في الدرجة الثامنة وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معي بغرور واستعلاء . وأصحابي يقولون عنها إنها حكيمة وقد تمرض ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجة هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تختلط مع الأطباء والمرضى كما تعمل معي وسوف تتأخر عن كيفها ولن أستطيع أن أقول لها .. كنت فين؟.

وهم يقولون أيضاً إنها في سبيل الحصول وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهمها إلا أن تحصل على زوج ، أي زوج تكون في عصمة رجل ثم تعيش بعد ذلك على كيفها

ولكن الحقيقة الأكيدة التي أشعر بها .. أنها تحبني وتصدقني .. في الوقت الذي أحبها أنا فيه بعض الحب فقط

وأنا حائر هل أتزوجها ؟

* * *

لا شك أنك بحالتك الراهنة .. موظف في الدرجة الثامنة وعمره من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف . تعتبر .. عريس على قد حالك جداً جداً .

وسوف تكون في حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك إذا فكرت في الزواج

وبإيرادك الحالي الذي لا يزيد على سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك بسهولة

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتصدقك وتحلم بالزواج منك وفي نفس الوقت تحبها ..

وحكاية الحب كلام فارغ لأن التعود يقضي على الوحاشة وعلى الجمال والعين حينما تتعود على وجه وتألفه يفقد هذا الوجه ما يثيره في النفس ويبقى الإنسانية والعشرة والأخلاق والحب والانسجام . وهي أشياء أهم من الجمال في الزواج ..

وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يصب فيه كل رجل كلام فارغ .. والذي أعلمه أن النساء العاملات أكثر عفة من غيرهن

ولا شك أنكما أنتما الاثنان شريكان في الخطيئة وليست هي وحدها التي يتوجه إليها الشك واللوم ولعل الله يتوب عليكما بالزواج والزواج ساتر وعاصم

ورأيي إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك وإذا كانت نيتها على الاستقامة صادقة .. أن تتزوجها

٥١

الخواء من نفس العمل

• ن . ن ري سيدت بالاسكندرية

تعرفت في أحد الأيام بشاب فلسطيني من اللاجئين يعني في أحد الكباريهات . ودعاني صديق لمشاهدة البرامج .. حيث عرفني براقصة من زميلاته وقدمني إليها على أني ابن عمه .

واصبحت الراقصة زبونتي . ومن طريقها تعرفت بامرأة غنية في السابعة والثلاثين من عمرها .

وقدمت نفسي للغنية خميلة على أني لاجئ فلسطيني مقطوع من شجره .

وقدمت هي نفسها على أنها أرملة عراقي كبير ومن عائلة معروفة

ونشأ بيننا حب جارف . شربنا كاساته حتى الثمالة .. ومعنا به جسداً وروحاً

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب عليّ .. وأنها قوادة مشهورة تتجر بالأعراض ، وليست أرملة عراقي وإنما هي أرملة كل الناس

ولم أستطع مكاشفتها لأن حبي لها كان قد ذهب بي بعيداً .. وعبر حدود العقل والمنطق .. ولسبب آخر هو أني أيضاً كذاب .. فلست « لاجئاً فلسطينياً » ولست مقطوعاً من شجرة . وإنما أنا مصري

وأبواي على قيد الحياة

لقد كان كلانا صعلوكاً مغامراً

ولا أدري ماذا أفعل الآن

أنا مخطئ وقد أوغلت في الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى طريق السلامة .

• •

سيدي

اشكر أقدارك على أن صحبتك ليست فتاة ساذجة . وإنما هي امرأة محنكة نازلتك بنفس سلاحك

إن قصتك تذكرني بما قال ميترلنك عن الصدفة

إنك لا تقابل إلا نفسك في طريق القدر . كن كاذباً تسرع إليك الأكاذيب كن لصاً تتشبث بك جرائم ... في أي طريق تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك

إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجري بين حيطان السجون وإلى جوار القصور وليس يعنيه حجمه ولا بريقه وإنما كل ما يعنينا هو حجم الكأس التي نغمرها في مياهه وإن هذه الكأس تأخذ دائماً شكل أفكارنا ورغباتنا .. وتساوي سعة أشواقنا

إن حظك من الحب عادل بأصدقي الصعلوك والكأس التي تشرب تساوي سعة قلبك ولون ضميرك

كلا كما طائران متشابهان ، وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معاً إلى نهاية الطريق .

٥٢

منافسة غير شريفة

توفى زوجي منذ عشرة أعوام وكان عمري حين ذاك ثلاثين عامًا تاركًا لى ثروة كبيرة . وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة

وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما بمدرس فى كلية هندسة والثانية بدكتور كبير أما الثالثة الصغرى فقد كبرت وأصبحت فورة فى سن السبعتاشر .

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب . وسرعان ما أحبته وشغفت به .. وأصبح محور حديثها فى كل وقت ..

وأنا تعودت دائمًا ألا أتدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار الأصدقاء ولى عادة أكتفى بالإشراف من بعيد ، ولكنى حين عرفت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير متكافئ لا يليق بنا .. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه ..

واجتمعت به فى النادى لأول مرة .. وتركتنا ابنتى بعد فترة .. وقضينا فترة نتحدث ..

كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله .. وتكلم بصراحة مطلقة لم أعهدها فى شاب . تحدث عن ظروفه فى عدم الاستمرار فى التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها مدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم بأن يكون مهندسًا . ولم يجد فى الدراسة الأدبية شفاء لأحلامه وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة

ونصف سنة ثم خرج .. وكيف استقر أخيرًا فى وظيفة محترمة بمرتب كبير وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية .. وأن يتقن ثلاث لغات

وتعددت مقابلاتى له بالنادى أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع فى مختلف الثقافات .. فى العلم .. والأدب والفلسفة . وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب .. وعرفت أن له شخصية قوية .. ولم يكن هذا رأيى وحدى فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه وأزواج بناتى كانوا يشكرون فيه أخلاقه وسلوكه فى الحقيقة اطمأنت إليه وقلت فى نفسى مادام فى مركز محترم وصفاته حسنة ، وشابًا مؤدبًا ، وفوق ذلك ابنتى تحبه فلا بأس ..

وشجعت هذه الصداقة

وأصبحت ابنتى لا تبتعد عنه .. وتتصل به كل يوم فى التليفون . ويتقابلان كثيرًا

وكانت طول الوقت تحدثنى عن كل ما يحدث بينهما .. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يحب ابنتى ويقدرها ويحترمها ويحدثنى عن علاقة الرجل بامرأة على أنها علاقة روحية قبل أن تكون علاقة جسد

وتتوالى الأيام وحديث ابنتى عنه .. كنت أحس باشتياق له ، وأنتظر موعد حضوره فى النادى أسبوعيًا بلهفة شديدة وتحول اشتياقى إلى حب جارف ملتهب وكانت تؤلمنى نظرته لى كأم . حيث إنه فقد والدته وهو طفل ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجًا لى ولم لا ! فهو الرجل الذى يستطيع أن يسد مكان زوجى .. والشاب القوى الذى أحتاج إليه فى هذه السن

مسئول عن أمانة وخائنة فى حق ابنتى .. لكن أنا سيدة فقدت زوجى فى

الثلاثين ، والآن أشعر بالوحدة . وسأكون وحيدة بعد أن تتركني ابنتي الثالثة وأنا أحبه . وأعشق رجولته وشهامته

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابني حتى قطع رجله تمامًا من البيت . ولكن الذي حدث كان أكثر من هذا .. فقد قطع رجله من النادي أيضًا ولم أعد أراه . ولم يعد يتصل بي ولا بابني .. وكدت أحس من الشوق والتفكير . ولازمني القلق

وأخيرًا تشجعت وطلبته بالتليفون وقلت إني أريده بالمنزل لمسألة هامة وأخليت المنزل .

وحينما دق الجرس ورأيته أمامي .. فقدت أعصابي وألقيت بنفسي على صدره . وعانقته وقبلته قبلات كثيرة . كثيرة . لم أفق منها إلا على صفعة لطمني بها على وجهي وهو يبعدني في اشمئزاز واستنكار ، وأدار وجهه وخرج وتركني ذليلة مكومة على أريكة

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش في صراع عنيف . وأفكر في الانتحار وأفكر في أنني حقيرة . ولكن ما ذنب ابنتي

ابنتي تبكي ليلًا ونهارًا .. وهو لا يتصل بها .. وهي تعتقد أنه سيخطب إحدى قريباته . وهي لا تعلم الحقيقة .. ولا أجد عندي الجرأة لأقول لها الحقيقة

ماذا أفعل ؟.. إني أتمنى أن يعود إلى ابنتي . ولا أمل لي أكثر من أن يعيش الاثنان سعيدين معي . وأرى سعادتهما من حولي

اكتب له ليعود

* * *

إنه لن يعود

إن الشهامة والرجولة والأخلاق .. لا يمكن أن تعود إلى أمثال هذه البيوت .. البيوت التي يحطمها أصحابها . ويستدعون الرجال بالتليفون للخدمات المستعجلة

إن ابنتك بريئة .. ولكنها تعيش معك في البيت .. والبيت ينقل عدواه من فيه .. ولا شك أنك كنت بريئة .. وأنت في سنها . وهذه البراءة لم تمنعك من السقوط في سن الخمسين ..

وأسوأ ما يخافه زوج شاب أن تحطم حياته الزوجية بشاعة . إن شاعة في سن الخمسين أسوأ ألف مرة من سقوط في سن العشرين

لأنها شاعة يائسة عجلة ليس لها عزاء فيما تبقى من العمر .

٥٣

الفريسة والصياد

أنا فتاة في السادسة عشرة من عمري .. جميلة .. وجذابة . بدأت مشكلتي منذ حوالي سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمي ..

لم يكن ينقصنا شيء في حياتنا .. فأمي امرأة غنية جدًا ورثت عن والدي قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جدًا .. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقتها ومظهرها .. وتعرفت أمي في هذا الوقت على شاب في السنة النهائية بكلية الآداب .. وكان شابًا أنيقًا .. وشرعت في إغرائه بالفلوس وبالثروة التي فرشتها تحت قدميه .

وكانت أحيانًا تصحبه معها إلى البيت الذي نعيش فيه . وتكرر تردده إلى البيت كثيرًا .

وفجأة وجدت أمي تعترف بزواجها من هذا الشاب الذي انتقل إلينا وأقام معنا . وكان في هذا الوقت قد تخرج في الكلية والتحق بعمل محترم

ولاحظت أنه بدأ يتودد إليّ وبدأ يعاملني برفق وغزل

وفي يوم كانت أمي في الخارج . وجاء هو إلى المنزل وكنت وحدي فأخذ يلاطفني حتى وجدت نفسي تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا في قبلات حارة . ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبه حبًا كبيرًا لا أقوى على مقاومته

وأصبحت أنتظر اللحظات التي نختلي فيها بأنفسنا . وأقسم لك أن علاقتنا لم

تتعد القبلات والأحلام الحميمة وتمنى معي على كل شيء .

اتفق على أن يطلق أمي ويتزوجني .. وفعلا تم الطلاق

وحتى هذا الوقت لم تكن أمي تعلم شيئًا حتى فاتحتها بأني سوف أتزوج من هذا الشاب الذي طلقها فجن جنونها وثارت . وهددتني بحرماني من ميراث . وبرغم ذلك صممت على الزواج منه

إني أحبه .. أحبه .. أحبه . سنة كاملة وعدة شهور ونحن نعيش في نشوة الحب

وقد تعقدت المشكلة أخيرًا حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجوا جميعًا ووقفوا حائلا ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج .

إني أتعذب

لم تكن جريمة أن أحب شابًا تقرب سنه من سني حبًا شريفًا خالصًا

لقد اعترف لي أنه أخطأ بزواجه من أمي .. وأن حاجته إلى الفلوس في ذلك الوقت هي السبب

إننا نتعذب : ماذا نفعل ؟

* * *

تأكدي أن الشرع على حق

إن الرجل الذي يشتهي الأم وابنتها في نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على عاطفته .. إنه ضائع الشخصية

وهذه حقيقة وحقك إنه ضائع الشخصية . عينه زائغة بين فلوس أمك .. وشباب ابنتها .. وتأكدي أن عقله الطماع يرمي إلى مرام بعيدة . فهو يعرف جدًا أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث . وأنها مهما كانت قاسية

فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقك .. وهكذا تضمن له كما تقع الفاكهة المستوية .. جمال ومال ..

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك .. على أنك صيدة ..

إن كل شخصية لها منطق يحكمها .. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها .. لأن منطقها هو جوهرها وروحها .. وهذه روح صاحبك ..

إنه رجل سيئ .. تجنبيه .. ليس بسبب الشرع فقط .. وإنما لأنه إنسان كذاب .. عواطفه كذابة ..

٥٤

ليست أفعى

أنا شاب فى الثلاثين من عمرى أشغل منصبًا كبيرًا ومرتبى حوالى مائة جنيه .. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن زوجتى ٢٥ سنة .. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة ..جامعية .. جميلة .. موظفة .. ست بيت .. أم .. زوجة .. حبيبة .

سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات الست ، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة منى إلى أية امرأة .

طول هذه المدة لم أشته امرأة ولم أفكر فى أنثى ، ولم يخطر على بالى مخلوق غير زوجتى .

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامرأتى .

بدأت تتسلل إلى نفسى – ولا أقول إلى قلبى – أفعى فى شكل فتاة سنها ١٧ سنة .

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف ، فهى عاملة بسيطة ، مرتبها عشرون جنيهًا شهريًا .. عادية بل أقل من العادية ، ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جدًا فهى تعيش مع أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات ، ووالدتها التى تكافح فى سبيل اللقمة وأختها العاطلة ، وأختها الأخرى العاملة ، كلهم يعيشون فى غرفة واحدة فى بدروم .

والبنت على مسحة من الجمال .. عطفت عليها وساعدتها ماديًا حينما شكت

فى ظروفها ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلنى أهلها بحفاوة كبيرة .

ولكن هذه الأيام .. بدأت المشكلة .

وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب للذهاب .

وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور الوقت .

وأخيرًا .. اشتهيتها .. نعم اشتهيتها .. وقبلتها خطفة .. على السلم .. ودعوتها للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا دون أن تدرى زوجتى .

وهذه التصرفات تجعلنى أحتقر نفسى .. وأنا الذى كنت أحرم على عينى أن تنظر إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة جمال .

إنى أشعر أن حياتى الزوجية .. وكيانى وبيتى .. ومستقبل كله يتهدم .

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى .

هذا الشعور يعذبنى .

إنى واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة .. العطف والإشفاق .. والإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة فى طهارة .. والملل .. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة .

والبنت متعلقة بى جدًا ، وطبعًا لها حق فأنا لقطة بالنسبة لها بالرغم من أنى متزوج وعندى أولاد ولست من دينها .. ودينى يمنعنى من تعدد الزوجات .

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التى عرفتنى بها .. ولكنى أعود فتنهار مقاومتى وأسرع إلى لقائها .

تعودت منذ صغرى أن أصل إلى ربى مصدر عزائى ورجائى . أما الآن فإنى أخجل من المثول بين يديه .. وماذا أقول له .

لا أريد منك أن تقول اتركها .. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد

يوم وعلاقتى بالفتاة تزداد بدرجة تجعلنى عاجزًا عن الاستغناء عنها .

وأنا محتار بين بيتى الذى أقدسه .. وهذا الشعور الجديد الذى اكتسحنى .

* * *

واضح جدًا أنك الجانب الأقوى والأقدر فى هذه المشكلة .. وأنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك المادية وعطفك (المشكوك فيه) .. وأنك استدرجتها .. وأنك الفخ والصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك .

وليس صحيحًا أنك لقطة .. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات .. إذن سوف تجرها خلفك (وأنت ابن الثلاثين وهى بنت السبعتاشر) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية .

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة فى الزواج وفى الحب من شاب ند لها .. فمن منكم الضحية .. أنت أيها الرجل القادر القوى الغنى المستغنى .. أم هى التى تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول فى غرفة فى البدروم .

وأنت تسميها أفعى . وأنت الأفعى الذى تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب .. وفى النهاية سوف تبكى وتقول .. حلست لى بيتى .

كفى رثاء لنفسك .. بدون داع .. واترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدها فساعدها بكرم ورجولة دون أن تختلس منها القبلات على السلم .

وثق أنك إذا دامت علاقتك فسوف تنتهى حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد .

٥٥

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتي عندما تزوج والدي .. وكان زواجه بعد أربعين يومًا من وفاة أمي – من سيدة مطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر مني بسنة .

وكانت معاملة زوجة أبي حسنة لدرجة جعلتني أقول لنفسي ، لو أن أمي كانت على قيد الحياة لما عاملتني أحسن من هذه المعاملة .

ومازلت أقول هذا الكلام بعد مضي تسع سنوات على زواج أبي .

لم تكن زوجة أبي هي المشكلة إذن .. ولكن المشكلة كانت في أبي الذي بدأت تتغير معاملته لي بعد زواجه بدرجة أفزعتني .. فهو كل يوم يحلفني على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه ولا أغرى امرأته .. ولو قلت لك إن عدد هذه الخفقانات اليومية بلغت عدد شعر رأسي لما كنت كاذبًا .. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب في كل لحظة بدون مبرر وبدون داع ..

وهو في كل مرة يرتاب فيها يأتي بالمصحف لأحلف عليه ويطلب مني أن أقسم بعهد الله وبنور عيني وشبابي بأني لم أفكر في امرأته ولم أشتهيها ، ولم أنظر إليها نظرة حرام .

وفي رمضان كان يغلق علينا حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه وأحيانًا يترك الباب مفتوحًا ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش وتتطور الشك في فمه إلى تصورات وهمية .. مرة يقول لي إني أمسك ذراعها ، ومرة يقول إني تحسست شعرها ، ومرة يقول إني قبلتها ، مع العلم بأنها امرأة في سن أمي نصيبها من

الجمال والجاذبية لايزيد على ٤ من ١٠ .

وتطورت حاله فأصبح لا يسمح لي بالبقاء في البيت إذا خرج ، فهو يأخذني معه حينما يخرج في الصباح الساعة التاسعة ، ولا يسمح لي بالعودة قبل الواحدة .. وفي المساء يأخذني معه الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة .

وهو يعطي الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول الوقت ولا تخرج لقضاء أي طلب .. وإذا اكتشف أنها خرجت لأي غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها .

وأنا الآن طالب في جامعة الإسكندرية في السنة الثانية . ومن حسن حظي أني أترك هذا المورستان وأرتاح منه طول السنة الدراسية .. ولكن ما تكاد الإجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود العذاب والجحيم و « س » و « ج » .

آخر مرة أقام معي تحقيقًا طويلا عريضًا لأنه رآني أقف بجانبها عند الثلاجة .

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة وكانت واقفة تطبخ .. إزاي أدخل عليها .. وأتلصص .. وأنظر إلى ساقيها ومفاتنها (ياربتك تشوف السيقان الغاب دول) .

العائلة في خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمي بأربعين يومًا ولأنه باع أرضًا تركتها لي أمي وأنفق ثمنها .. وهذه طبعًا مسألة ثانوية لا تهمني .. إنما المأساة في هذا التفكير الذي يفكر فيه والشك حتى حينما أترك البلد لأذهب إلى الإسكندرية تلازمني همومي وتمنعني من المذاكرة .

لا تظن أن والدي تعليم متوسط ، إنه رجل متعلم تعليمًا عاليًا وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات .

لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيمانى منعنى .
ماذا أفعل فى هذا الجحيم الذى أعيش فيه ؟

* * *

إن من يعيش فى الجحيم الحقيقى هو أبوك .

أنت تشارك بنصيب المتفرج شهوراً قليلة من كل سنة ، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك ، وكل الوساوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع ، إنما محض خياله وتصوراته .

ولكن رجل هذا خياله وتصوراته .. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق ، والظاهر أنه تزوج فى خريف رجولته وأنه لم يعد يجد فى نفسه الكفاءة التى كان يجدها فى شبابه فانعكس شعوره بالنقص إلى شك فى زوجته وفى كل شاب يملك ما لا يملكه .

أبوك مريض .. وحالته حالة سيكرياتية .. ويجب أن تعيد النظر فى مشكلتك ولا تنظر فى أنانية إلى ما تعانيه أنت وحدك .

وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك .

رقم الإيداع	١٩٩٧/٧٨٥٤
الترقيم الدولى	977-02-5437-1 ISBN

١٩٧/٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3